قشطة

أشرف نبوي

مجموعة قصصية

قشطة

أشرف نبوي

شمس
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى...

هدير.. قرة عيني وابنتي الرقيقة

عمر.. ولدي الذي تمنيته من دنياي

ندى.. فاكهة القلب وآخر العنقود

مقدمة

أكتب؛ لأن الكتابة تمثل الترياق الذي يشفيني من أوجاع الحياة، ويُفرغ الشحنات السالبة التي تتنامى بداخل كل منا، كلما تعرّض لضربات قوية عبر مشوار حياته..

وأنا حين أكتب، أسكب بعضًا من روحي عبر أحرفي، وأحاول مزج عالم أحلامي بواقعي المعاش، فتخرج الأحرف دومًا مزيجًا بين ما نتمناه جميعًا، وما هو واقع في حياتنا، لكن بدون تضاد أو تناقض، بل هو نوع من فن الممكن الذي يُضفي على الحياة مسحة الأمل التي تمكننا من البقاء واقفين؛ رغم القسوة التي نعانيها جراء تكالبنا على الدنيا وسعينا الدءوب لنيل كل ملذاتها، ما يخصنا وما هو ليس بحق لنا.

وأنا حين أكتب، فهذا لأني كاتب لديه رؤية خاصة، يعتبر أن المشاعر حين تمزج بالصدق وتغلفها غلالة من الأحاسيس، فإنها تنبت في النفس أزهار الجمال، وتعطي للتواصل بين الأرواح مساحة رائعة للتناغم على المستوى الإنساني.

طنط قشطة

لا أعرف بالضبط لماذا كنا نناديها بهذا الاسم، وهل لهذا علاقة بشدة بياض بشرتها وسمنتها المفرطة، أم أن هذا هو الاسم الحقيقي الذي أطلقه أبواها عليها.

على كل حال ... فلنترك أمر هذا الاسم الآن، ولنتعرف على صاحبته، سيدة أربعينية تزّين وجهها دومًا ابتسامة وضاءة، عينان ودودتان، بمجرد النظر إليهما، تستشعر أنك تعرف صاحبتهما من زمن، بساطتها تدخلك معها في حوار مباشر، مندفعة بعض الشيء برغم الهدوء الذي قد يشع من حولها، مثقفة بدرجة عالية، تتابع الأحداث بشغف، وتتفاعل مع كل حدث بطريقتها الخاصة، نشطة لحد مذهل، وبقدر اندفاعها وفرط نشاطها، إلا أنها تهدأ بسرعة. حين ترى اجتياح القوات الإسرائيلية لغزة، تنادي بمساندة إخوتنا في غزة، ومقاطعة كل ما هو أمريكي، يحدث هذا صباحًا، وتراها في المساء وقد جلست بأحد مطاعم الوجبات السريعة الأمريكية التي تهواها بشغف.

حين نشرت الصحف الدنماركية الصور المسيئة لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، كانت أولى المناديات بمقاطعة بضاعتهم، لكنها لم تلبث كثيرًا حتى عادت وبررت استخدامها لبعض تلك البضائع؛ أن الضرورات تبيح المحظورات، وبعض هذه المنتجات - في نظرها - ضرورية.

لم تحظ يومًا بزوج؛ رغم رقتها ودفء مشاعرها، حين تسألها إحداهن عن السبب، تضحك وهي تحاول مداراة حيرتها، مرجعة الأمر للقسمة والنصيب. رأيها أن المرأة نصف المجتمع، لكن يجب أن تكون السيادة للرجل، والقيادة لسفينة الحياة، يجب أن تناط به، لكن لا يمنعها رأيها هذا من الانضمام لجمعيات حقوق المرأة.

تعشق حب وطنها، لكنها ناقمة على كل الساسة، تظن أن التغيير الجذري للقيادات الحالية، سيأتي بكل خير، لديها تصورها الخاص بمجتمع قائم على العدالة والمساواة، لكنها لم تنخرط يومًا في أي تنظيم سياسي أو حزبي لتفعيل فكرها.

تنصح كل رفيقاتها وبناتها في المدرسة الثانوية التي تعمل بها كمدرسة أولى للغة الفرنسية، بعمل حمية للمحافظة على قوامهن، وهي أولى المخالفات لتلك النصائح.

تركيبة عجيبة من المتناقضات، لكنها تتمتع بحب كل المحيطين بها، وحافظة أسرار الجميع، الناصحة الأمينة التي يلجأ إليها الصغار والكبار، صاحبة كاريزما خاصة، بناتها - كما تحب أن تطلق هي على طالبات الصف عندها - يعاملنها بحب فائق، يصادقنها، ويغتنمن كل فرصة للتقرّب منها، كنَّ طريقها لمعرفة صفحات الإنترنت، والشات، من خلالهن عرفت عن الكثير من القضايا، وتفاعلت معها، كتبت وشاركت البنات أحلامهن، وشجعت الموهوبات منهن. روحها المغامرة وجرأتها جعلت منها خير محفز لاستنهاض طاقات البنات، دلتها إحداهن على موقع شخصي يهاجم الحكومة، وينتصر لإحدى الصحفيات اللواتي احتُجزن ظلمًا، يجمعون التوقيعات لمناصرتها، كتبت بصدق رافضة الظلم، ومنددة بما حدث. تكرر الموقف حين سمعت عن موقع يدعو إلى الإضراب العام، كتبت مشاركة ومساندة، لم تكن على دراية قوية بتكنولوجيا الويب، تسجل باسمها الحقيقي، وتذكر جميع البيانات بشفافية.

وصلتها رسائل تهديد،ورسائل أخرى تحمل في طياتها سبًا وشتائم رهيبة، تجاهلت كل هذا، فوجئت بجرس الهاتف في ساعة متأخرة، شخص يهددها ويتوعدها، أغلقت السماعة، باتت ليلتها متيقظة.

في الصباح طلبتها المديرة، لمحت آثار الفزع والحزن على قسماتها، سألتها بحذر عن آخر إجازة قامت بها، لم تفهم المغزى، طلبت منها أن تقدم على إجازة، حين حاولت أن تفهم؛ لم تعطها الفرصة ألحت بأن عليها ضغوطًا، وأنها تفضل لو قدمت استقالتها، فهي لا ترغب في وجود مشاكل، لم تستطع أن تفهم، جلست في البيت أيامًا لا تدري أتبكي أم تكتم ألمها. زارتها بناتها، غضبن لما حدث، وعدنها بأن يكتبن عما حدث لها، وأن يستنصروا الوزير، تبسّمت وهي تحذرهم من كتابة أي شيء، الآن على الأقل.

مضت الأيام رتيبة، لا يكسر كآبتها سوى زيارات البنات لها من وقت لآخر، إقبالها على الحياة خفف من حدة محنتها، التي لم تعرف لانتهائها تاريخًا، أفاقت ذات صباح على جرس الباب، وجدتهن بصخبهن ومرحهن، أخبرنها عن مظاهرة سيشتركن فيها للتنديد بالظلم والفساد، طلبن منها أن تخرج من عزلتها وتشاركهن، ترددت في البداية لكنها وجدتها فرصة لإخراج مكنون صدرها من الحزن المكبوت، هللن لموافقتها، واتفقن على الحضور في الغد لاصطحابها، مكثن يَصغُن بعض العبارات الرنانة، واتفقن على عمل بعض اللوحات المعبّرة عن غضبهن، تناست حزنها لوهلة، وهي تنصهر بين أفكارهن وحماسهن.

في اليوم التالي كانت على الموعد، خرجت معهن وكلها حماسة، انضممن لجموع المتظاهرين، هتفت بأعلى صوتها، لم تشعر إلا وهي في مقدمة الصفوف، شعورها بالظلم كان وقودًا لمشاعرها، ازداد الهتاف، وتكاثرت الجموع أكثر فأكثر، اقتربن من سياج من رجال الأمن طوّق المكان، لم يجفلن، تراجع السياج أمام ضغطهن خطوات، بصيحة من رئيسهم؛ ارتفعت الهراوات في الهواء، لم يتوقف الزحف، صرخة أخرى جعلت الهراوات تهتز في أيديهم بعنف فوق الرؤوس، تفرق البعض، وانهار البعض تحت وطأة الضرب الأعمى والأصم بدأ رجال الأمن في إلقاء القبض على البعض، وتقييدهم وشحنهم في السيارات المنتظرة، لم تدر إلا وهي ملقاة في زاوية إحدى سيارات الأمن، وفوقها ثلاث بنات قد خضّب الدم وجوههن.

في ظلمة السجن؛ جلست تبكي بحرقة، لم يتوقف دمعها إلا بمواساة إحدى زميلاتها في الزنزانة، ذكرتها بعدل الله وأن ما هم فيه إنما هي محنة من الله، اطمأنت لحديثها وهدأت نفسها قليلاً.

في الصباح أفاقت على اسمها يُنادى، نظرت بصمت إلى الضابط، شعرت بكراهية لم تستشعرها يومًا، تبسّم في تشفٍ وهو يوجّه لها

الأسئلة ، لم ترد على أغلب الأسئلة ، كانت نظرات الاحتقار والازدراء تملؤه غضبًا عليها فيشير لأحد زبانيته أن يلطمها.

حين أعادها إلى الزنزانة، كانت دموعها تغطي قسماتها، احتضنتها رفيقتها في حنو، ربتت ظهرها، همست في ود: اصبري، اقترب يوم القصاص، لم تفهم ما تعنيه.

مكثت في حبسها عشرين يومًا، ذاقت فيها صنوف الذل والهوان، حظها العاثر أوقعها مع ضابط بلا ضمير ، يتسلى برؤية الدم والدموع ، يعتبر كل خارج عن السلطة وأوامرها - مهما كان - خائنًا يجب النيل منه، بأساليب قانونية أو قمعية؛ لا يهم.

قضت لياليها دامعة ذاهلة ، وأيامها ذابلة متألمة بين أساليب مهينة في التحقيق ، وسيل من الإهانات والتعذيب . لم يخفف عنها إلا حديث زميلتها التي عرفت فيما بعد أنها صحفية في جريدة معارضة، وأنها منتمية لجماعة تدعو إلى الحرية والديمقراطية، كما حاولت أن تشرح لها أهدافهم ورغبتها في أن تصبح واحدة منهم تناضل من أجل الوطن وتحريره من الطغيان. كانت تستمع إليها وتناقشها أحيانًا في محاولة لقتل الوقت ، لم تكن مقتنعة تمامًا بما تناقشها فيه ، وبما تحاول أن تقنعها به ، وهو الانضمام إليهم في

سعيهم إلى إحداث تغيير؛ ولو بالعنف؛ طالما أن الوسائل السلمية لم تفلح.

تعددت جلسات التحقيق، لم يصل معها الضابط لشيء يدينها، جاءته الأوامر بالإفراج عن كل من اعتقلهم.

خرجت إنسانة أخرى غير التي دخلت، مرتابة في كل من تقابله، زائغة النظرات، مرتبكة الفكر، لا ترد على الهاتف، لا تستقبل أحدًا في بيتها، قاطعت الجيران، وانقطعت عن بناتها، عبثًا حاولن انتشالها من حزنها.

كانت الأسئلة بداخلها كثيرة، وعلامات الاستفهام لا حصر لها، لماذا يحدث لها هذا؟ وكيف يكون الحوار هكذا، القلم ترد عليه العصا؟! والقوة تتصدى لأي رأي؟

كانت تظن أن العالم ليس بهذا السواد، ولم تسكنه الظلمة بتلك القسوة، خوفها على بناتها إن اقتربن منها، جعلها تتأنى في إعادة علاقتها بهن، حاولت استعادة وظيفتها، كتبت للجهات المعنية، طال انتظارها، حاولت شغل وقتها بالكتابة، راسلت بعض الصحف، نشرت قصتها إحدى الصحف، قصدت مبنى الصحيفة لتشكر المحرر،فوجئت برفيقة زنزانتها،تبسّمت وهي تهم بالجلوس تجاذبا أطراف الحديث، انصرفت على وعد بلقائها.

بعد عدة لقاءات عرضت عليها الانضمام إلى جماعتها، شعرت بأنه ما عاد شيء تخسره.. وافقت.

نشاطها وإخلاصها جعلها تتقدم الصف، في أشهر قليلة انضمت لقيادة المجموعة، تعلمت الكثير عن قضايا الوطن، وكيف تدار الأمور لمصلحة ثلة قليلة منتفعة، لا يهمها سوى مصالحها، قرأت الكثير من الملفات، تعرّفت الوجه الآخر لهؤلاء المتشدقين بحب الوطن أمام الشاشات، وكيف هو فسادهم وإفسادهم الذي طال شتى مجالات الحياة.

حين أفاقت ذات، يوم ونظرت في المرآة، سرت بجسدها قشعريرة، لم تعرف وجهها في المرآة، لم تكن ذات المرأة!.

لا أريد القمر

كان النهار قد قارب على الانتصاف وهو مستلقٍ فوق السرير محملقًا في السقف بلا تركيز، يتابع في إنصات تداخل ضجيج الباعة بأصواتهم المتحشرجة، مع طنين الذباب الذي ازداد عدده عبر نافذته التي تطل بارتفاع أقل من مترين على الشارع، التفت ببطء جهة النافذة، لمح تطاير أوراق الملوخية التي وضعتها زوجته لتجف بالأمس؛ قبل أن ترحل؛ نمت على شفتيه ابتسامة سخرية غلّفتها مرارة ألم عبر نظراته المنكسرة.

لم تكن حياته مثالية، ولولا بعض الأيام التي كان يجد فيها عملاً عند هذا أو ذاك، لما صبرت زوجته علية طيلة ست سنوات، وهو كثيرًا ما كان يذكر لها هذا وهو يهمس في لياليهم المميزة بأنها بنت أصول ومن بيت طيب، وأنه سيعوضها صبرها على حالهم، كانت تنتشي لسماع تلك الكلمات، وإن كانت في قرارة نفسها تدرك أنها كلها وعود لن يتحقق منها شيء.

ورث عن جده الكبير حبه للقراءة وحرفية التعبير عما يجول بخاطره ببراعة ، وقد كانت تلك المزية تُدرّ عليه أحيانًا بعض الرزق، لكنه رزق متقطّع، حين يعجز أحدهم عن صياغة خطاب أو كتابة شكوى.

حتى أتى هذا اليوم الذي حضر فيه ندوة بأحد المقاهي لأديب شاب، كان يحاول أن يجذب الانتباه لروايته التي نشرها قبل شهر وحققت بعض النجاح، وأسهب في وصف أثر الرواية والتجديد الذي أحدثه ، وقام بتوزيع بعض النسخ على الحاضرين ، كانت إحداها من نصيبه، حين قرأها أدرك أن بوسعه هو أيضًا أن يكتب فهو أفضل بكثير من هذا المهرج الذي ظل يتحدث بتقعرٍ قرابة الساعتين، ولم يقل شيئًا.

بدأ يخط روايته الأولى بهمة ، لم تعهدها زوجته فيه ، ولم يكن يلتفت لحديث زوجته المحُبط كلما رأته جالسًا وبيده الأوراق والقلم ، فقد كانت تحثه دومًا على ترك هذا الهراء والبحث عن عمل، وهو كان يرد أحيانًا، وفي أحيان أخرى يكتفي بالنظر إليها شذرًا، وهو يكيل لها تهم الجهل والغباء.

لم يمض شهران إلا وكان قد انتهى من سطر روايته الأولى، حملها بين يديه فرحًا وأخذ يقبل أوراقها وهو يحلم بأن تحقق له المجد

والثراء، أما زوجته فقد كانت تنظر إليه وهي تمصمص شفتيها وتبتسم بسخرية، لكن تلك النظرات لم تكن تزيده إلا تصميمًا.

حمل روايته وذهب إلى دار نشر، نظر إليه صاحبها في احتقار وهيئته الرثة تنبئ عما يحمله، ضحك بسخرية وهو يقلب في الأوراق ثم أعادها إليه وهو يعتذر، لم ييأس، أمضى شهرًا في البحث عن دار نشر تقبل روايته، وبدلاً من طلبه ثمنًا لروايته في البداية، أصبح يطلب نشرها وأخذ نصيبه من ريعها بعد البيع، ثم تطور الأمر إلى أنه بدأ يطلب مجرد نشرها وتنازله عن جميع حقوقه، كان يحلم بأن يكتب غيرها، المهم أن تحقق له هذه الرواية معرفة لدى الجميع بقدراته التي كان يؤمن بها.

في النهاية نصحه أحدهم بأن يقوم هو بنفسه بتحمل تكلفة النشر كاملة، وإذا نجحت روايته فإن طبعة ثانية أو رواية أخرى ستعوضه، سمع النصيحة وقد خاب أمله، فمن أين له بتكاليف الطباعة، وهو بالكاد يجد ما يسد رمقه هو وزوجته وولده، حمل أوراقه وعاد إلى بيته، ألقى بالأوراق في زاوية الحجرة، ومكث حزينًا عدة أيام، كانت زوجته خلالها تخفف عنه تارة، وتحفزه تارة لإيجاد عمل يكفيهم مذلة السؤال وتكفف الجيران، ولا تنسى تذكيره بأنها كثيرًا ما نصحته أن يلتفت لعمله ويترك تلك الوساوس، لكن صوته دومًا كان من رأسه ولا يستمع للنصح أبدًا.

مضت أيامه كئيبة، يعمل يومًا، وأياما لا يجد ما يكفيه هو وزوجته وابنه الوحيد، كان الحزن يعتصره، والألم يلفه؛ حتى في تلك الليالي التي كان يجلس مع زوجته وولده لمشاهدة التلفاز القديم الوحيد من طرازه على مستوى البسيطة، والذي كان مثار تعليق زوجته المستمر ولمزها دومًا بأن المتحف أولى به من بيتهم، حتى في تلك الليالي كان يبدو ساهمًا مكفهر الوجه، وهو يحاول أن يجد سبيلاً لتحقيق حلمه الذي أمن به، وهو أن يصبح كاتبًا وتنشر راوياته ويحقق حلمه بالثراء من بيعها.

حتى أتى يوم وهو يشاهد التلفاز، وجد إعلانا عن مسابقة للرواية جائزتها مالية، اعتدل في جلسته، أصاخ سمعه، قام إلى الأوراق وبدأ يكتب العنوان، نظرت إليه زوجته في تعجب وهزت رأسها في أسى وهي تتحسر على عقل زوجها، لم يعرها اهتمامًا.

في صباح اليوم التالي، توجّه إلى العنوان وقام بتقديم روايته، استلمتها الموظفة بامتعاض، سألها بلهفة عن تاريخ إعلان النتيجة، ردت باقتضاب سيعلن عنها في التلفاز.

ظل ينتظر كل ليلة تحقق حلمه، حتى أتت ليلة وهو جالس يحتسي الشاي مع زوجته، وجد تنويهًا عن نتائج المسابقة، هبّ واقفًا؛ اقترب من التلفاز وهو يحدق مشدوهًا، لقد فازت روايته

بألف جنيه، لم تصدق زوجته نفسها، قام إليها يحتضنها ويقبل ابنه وهو غير مصدق، رقص فرحًا ودمعت عيناها وهي ترى - لأول مرة منذ زواجهما - الحظ يبتسم لهما.

باتت ليلتها تحلم بشراء كل ما حُرمت منه، وكل ما تمنت أن تشتريه لولدها؛ ومنعتها الفاقة وضيق ذات اليد، وعلى مقربة منها نام زوجها وعقله يعانق الحلم الذي سيطر عليه، وهو أن ينشر روايته، لقد واتته الفرصة ليحقق حلمه في الشهرة والثراء، وغير بعيد كان ابنهما ينام قرير العين، تلتقي أحلامهما فوق رأسه؛ رغم تعارضها من أجل مستقبله.

حين فتح عينيه في الصباح، وجد زوجته قد أعدت له فطورًا بسيطًا، ربتت صدره وهي توقظه، ابتسم متعجبا في سعادة، فهو لم يتلقَ منها مثل هذه المعاملة منذ مرور شهر العسل وحتى اليوم، اعتدل جالسًا، قبّلها فوق وجنتها وهو يلمح كوب الشاي الذي حملته بيدها، وهي تحثّه على سرعة النهوض قبل أن يبرد.

قام متثاقلاً، غسل وجهه وعاد منتعشًا، جلس يحتسي الشاي وهو يتناول فطوره، كانت تُلقمه بيدها كلما توقف عن الأكل وقد لاحظت شروده، سألته فيما يفكر، ومتى سيذهب لاستلام جائزته؟ وهل ستأتي معه ليشتريا في طريق عودتهما كل ما هم بحاجة إليه؟

كانت أسئلتها متلاحقة وهي تغسل أوراق الملوخية، ثم تنثرها فوق صفحة الجريدة لتجففها، أما هو فقد كان ساهمًا لم يرد، زفر تنهيدة من صدره وهو يهم بالحديث، كان يعلم أن ردة فعلها ستكون شديدة، فقد انتظرت هذا اليوم كثيرًا، حلمت بأن يكون لديهم مبلغ كهذا المبلغ؛ لتحقق بعض أحلامه، وها هو يهم بأن يجهض كل أحلامها بكلمة..

تردد قليلاً وتنحنح، ثم ازدرد ريقه وهو يشير إليها أن تناوله كوبًا من الماء، وضع الكوب بجواره، ثم قال بصوت متقطع: ربما سنؤجل شراء ما تحتاجينه لبعض الوقت،لطمت صدرها بيدها وقد فوجئت من حديثه، ثم صاحت مستفهمة عن السبب، أطرق للأرض، وبصوت خفيض همس: سأطبع الرواية.

لطمت خدها ولعنت حظها وهي تهدده بترك البيت في حال أصر على موقفه، أغمض عينيه ولم يُجب، شعرت بأنه مصمم على ما أخبرها به، لملمت ملابسها القليلة، أمسكت بيد ولدها الذي كان قد استيقظ على صراخها، وخرجت ساخطة من الباب، وقد اختلطت دموعها بندبها لحظها العاثر، أما هو فقد ارتدى ملابسه في هدوء، وخرج حاملاً روايته.

عند الظهيرة، كان قد أتم ما عزم عليه، استلم المال ودفعه إلى إحدى دور النشر مع روايته، طمأنه صاحبها أنه في غضون أسبوعين ستكون الرواية بين يديه، وعرض عليه أن يقوم بتوزيعها نظير نسبة، كانت مشاعره متضاربة وهو يشعر بأنه قريب من تحقيق حلمه، وفي الوقت ذاته يشعر بألم فراق زوجته، ألقى بجسده على السرير وقد جافاه النوم طول الليل، وها هو اليوم يفيق متذكرًا كل ما دار بالأمس وكأنه حلم، تحسس وجهه كأنما يتأكد أنه مستيقظ، قام إلى النافذة، ابتسم وهو يرى الكل منشغلاً بعمله، وتصايُح الصِبية ذكّره بولده، خطا إلى ركن الحجرة، جلس ساهمًا حزينًا، تناول القلم وقد واتته بعض الأفكار، جلس يخطّ ولم يشعر إلا وقد أظلمت الحجرة بعدما أطل الليل، شعر بالجوع، نظر إلى الطاولة، وجد كسرة خبز جافة، تناولها ثم تبعها بكوب الماء الذي أحضرته له صباح الأمس، أَوَى إلى سريره وقد أنهكته الوحدة وفت الألم في عضده.

أمضى الأسبوعين على تلك الحالة، بعدما رفضت زوجته العودة، وسمع تأنيب والدتها التي اتهمته بالأنانية والجحود، كعادته كان يصحو ليبحث عن أن أي سبيل للرزق، وإذا لم يوفق، عاد إلى أوراقه وقلمه، يمضي النهار هكذا، فإذا أطل الليل تكوّم على

سريره وحيدًا، منصتًا للصمت الذي كان يلف المكان بعد أن تهدأ حركة المارة بالشارع، كان يُمنّي نفسه كل ليلة بنجاح روايته والثراء الذي ستدره عليه، وكان عازمًا أن يحمل كل ما سيحصل عليه ويلقيه بين يدي زوجته، علها تصدّقه وتؤمن بموهبته.

حين استلم أولى النسخ، نظر إليها باعتزاز وفخر، قلّبها بين يديه ثم ضمّها لصدره، لمح الناشر الفرحة في عينيه، همس: ما رأيك؟ هل نبدأ في التوزيع؟ أومأ إليه موافقًا، وانصرف بعدما أخذ بعض النسخ، كان يود لو يعطي كل من يقابله نسخة وهو يصيح: هذا أنا، هذه روايتي، فكر أن يذهب إلى زوجته، لكنه تراجع، فهي لا زالت غاضبة، وقد عزم ألا يذهب إليها إلا وبيده أكثر مما كانت تحلم به من مال، إذن لينتظر بيع الرواية.

مرت الأيام تباعًا وهو على حاله، وإن ازداد شوقه إلى زوجته وولده، بدأ اليأس يتسرب إلى نفسه، كلما ذهب إلى الناشر، يسلمه بضع جنيهات، معتذرًا بأن روايته لا تحقق الكثير، ولا يباع منها إلا القليل، شعر بإحباط، لم يعد يهتم بالكتابة كما كان، خجل من نفسه وشعوره بالتقصير في حق ولده وزوجته يكاد يخنقه، هداه تفكيره للبحث عن عمل دائم، راقته الفكرة.

أمضى يومين يبحث بلا جدوى، لكنه كان مصممًا هذه المرة على إيجاد عمل يضمن به عودة زوجته وولده اللذين افتقدهما كثيرًا، في اليوم الثالث لمح إعلان أحد المصانع يطلب عمالاً، تقدّم وهو يتضرع لله أن يوفقه للحصول على هذا العمل، حين استلم قرار التعين، كاد يغشى عليه من شدة الفرح، بعد شد وجذب عادت زوجته من بيت أهلها، كانت تؤنبه طوال طريق عودتهم، وكان هو يبتسم وينظر إلى الأرض، حين ضمتهم الغرفة، حاول أن يشرح لها ما فعله ولماذا، لم تقتنع، لكنها دارت ابتسامة رضا وهو يُقسم لها أنه يحبها ويتمنى لو يحضر لها قطعة من القمر، همست ضاحكة: لا أريد القمر كنت أريد فقط ملابس لي وللولد، ربت كتفها وهو يُقبّل رأسها، أكملت: كنت أريد أن أشاهد الممثلين بالألوان، أن نتعشى إذا تغدينا، ضمها برفق وقد دمعت عيناه، نام بجوارها وقد وسدّها ذراعه، حملقا في سقف الغرفة، وقد أنصتا لضجيج الأصوات المنبعثة من الشارع، أغمض عينيه في راحة، أما هي فتبسمت وهي تتخيّله يقدم لها قطعة من القمر.

نـداء الجسد

تحت أشعة شمس حانية على أحد شواطئ الغردقة، تمدد "محمد" بقامته الفارعة واضعًا قبعة كالتي يرتديها السائحون الأجانب فوق وجهه، مُتقيًا بها أشعة الشمس، ومواصلاً قدح فكره فيما سيؤول إليه أمره.

قطّب ما بين حاجبيه وهو يحاول حساب المدة التي مكثها هنا، نعم سنة وتسعة أشهر، لم يستطع أن يدخر خلالها إلا القليل، وليس كما كان يحلم، حين غادر قريته الصغيرة، يومها عزم على مواصلة العمل ليل نهار لتوفير ثمن تذكرة السفر إلى إحدى الدول الأوربية، ودفع تكاليف التأشيرة لمكتب السياحة الذي يوفر تلك التأشيرات، صديقه الذي عاد بعد سنة، كان يرطن بعدة لغات كما أخبرته أمه حين حضر للسلام عليه، بعدما جمعتهما جلسة طويلة رسخ في قناعته أنه لابد أن يسافر، كل حلول مشاكله هناك، لكن من أين له تكاليف السفر؟!

هداه تفكيره إلى العمل في القرى السياحية، يحكي بعضهم عن يسر العمل هناك وكثرة المال، اتخذ قراره بسرعة، لم يمضِ وقت

حتى التحق بوظيفة بإحدى القرى السياحية، ساعده إتقانه لعدة لغات، أقلقته في البداية مظاهر العري والصخب والمجون الذي يمارسه السُيّاح، والذي يختلف كليًا عن بيئته الريفية المحافظة، لكنه وبعد أيام قليلة، وجد نفسه مندمجًا ومتوافقًا مع كل ما حوله، عمله يبدأ مع غياب آخر ضوء للشمس، أما النهار بطوله فهو ملكه، يفعل فيه ما يشاء، كان يُمضي ساعات النهار الأولى مستلقيًا أمام البحر.

أفاق على صوت رقيق يسأله في نعومة إذا كان يتحدث الألمانية، أزاح القبعة من على وجهه والتفت إلى الصوت، وجد امرأة في بداية العقد الخامس، لم تستطع السنون أن تواري جمالها الأخّاذ، أو تغير من جمال ورشاقة الجسد الفتان، تبسّم وهو يرد عليها بالألمانية تهلل وجهها وهي ترى أخيرا أحدًا يتكلم لغتها ويفهمها.

سألته عن اسمه وأين تجده حين تريده، ودعته بابتسامة وهي تغادره عائدة إلى حجرتها المقابلة للشاطئ.

تذكر وجه حبيبته التي تمت خطبتها قبل أشهر؛ بعدما فشل في إقناع أهلها بالموافقة على الخطبة، وهو العاطل عن العمل، ابتسم في يأس وهو يحدق في الموج.

بعد انسحاب آخر ضوء للشمس تاركًا لليل البراح كي يمارس مع عشاقه أقصى طقوس الصخب والانفلات، كان محمد يراوح بين الحضور، ملبيًا طلبات الجميع في خفة، بابتسامته الصافية وجسده المتناسق، سمار بشرته المحبب، كان مقربًا من الجميع، خاصة وأنهم يستعينون به حين تعجز الألسن عن التلاقي، فيسرع هو لفك شفرتها بمهارة وذكاء.

لمحها في أثناء مروره بين الحشود، نادته بلكنة غربية، ابتسم وهو يتوجّه إليها، قدّمته إلى الجالسين معها بفرح، وهي تخبرهم أنه يتحدث الألمانية بطلاقة، بجانب لغات أخرى، دعته أن يشاركهم جلستهم، اقترب إليها وهو يهمس أنه في وقت العمل، أومأت برأسها متفهمة، ثم أشارت إليه أن يقترب، همست له: أريد أن أراك بعدما تنتهي من عملك، وافقها بإيماءة وهو يهم بالانصراف، كان قد تعوّد مثل تلك الدعوات، وفي أغلبها ينسى أصحابها الموعد بعد أن تكون رؤوسهم قد أثقلها الشراب.

حين انتهى عمله برحيل الليل، بدّل ملابسه واتجه صوب الشاطئ كعادته، شبك يديه خلف رأسه واستلقى في مواجهة البحر، مضت دقائق قبل أن يستمع لصوتها من جديد، سألته بنبرة عاتبة: أين أنت؟ ألم نتفق على اللقاء؟ اعتدل وهو يتمتم بالاعتذار، سحبت

أحد الكراسي قربه وجلست في مواجهته، نظر إليها هنيهة وفغر فاه عن ابتسامة وهو يلمح جمالها الذي عاند مرور الأيام واستقر ببهاء تحسدها عليه بنت العشرين ، بدهاء الأنثى أحست بالرغبة التي تملكته وهو ينظر إليها ، تصنّعت تجاهلها لنظراته النهمة ، نظرت إلى البحر وهي تتمتم : تملكون هنا في بلادكم أجمل الشواطئ وأفضل طقس ، ابتسم وهو يومئ موافقًا ، ثم أردف : لكنكم في بلادكم استحوذتم على الجمال البشري كله ، التفتت إليه وهي تبتسم ، وقد همت بخلع ملابسها متسائلة إن كان يجيد السباحة، هب واقفًا وهو يمسك بيدها الممدودة صوبه، خلع قميصه واتجه معها إلى البحر ، تعمدت أن تسبقه بخطوات ، ولم يدع هو الفرصة تفوته، مرر ناظريه على الجسد البض الذي يتمايل أمامه في غنج، لم تمنعه كلمات والده الأخيرة له عندما قرر السفر، حين همس له : "احفظ الله يحفظك وتذكر أنه مطلع عليك دائمًا" ، وقتها مال على يده يقبّلها، لكنه لم يكن يصغي جيدًا لأحرفه.

استمرت عيناه في معانقة جسدها شبه العاري، حتى اختفى بين الأمواج وهي تدعوه أن يلحقها ، ألقى وراءها بجسده ، غمرهما الموج وكانت البداية.

اعتاد محمد أن يذهب يوميًا بعد انتهاء عملة إلى حجرتها، يُمضي نهاره على سريرها وهي تدلله، حتى موعد عمله، فيغادر متكاسلاً وهي تحاول جاهدة ألا يتركها للحظة، لم يمض وقت طويل حتى ترك عمله، بعدما أخبرته أنها ترغب في اصطحابه معها لوطنها، لم يصدّق في البداية، لكنه أيقن جديتها في الأمر بعدما تكرر سؤالها له عن موعد استلام جواز سفره، كانت نقاشاتهما العابرة في هذا الموضوع، تجعله غير قادر على وضع تصور كامل لقرار، كان قبل أشهر يعتبره قرارًا مصيريًا، لقد كان يرتّب للسفر، لكنه سفر لتحقيق طموحه، لبناء مستقبله ماديا، أما الآن فالوضع مختلف سيكون مرتبطًا بها وبطموحاتها، لقد وعدته أن يدير لها جميع أعمالها، يستشعر صدقها فهي عاشقة، لكنه كان يتساءل أين هي مشاعره الآن؟ هل هي مجرد نزوة، أم تراه قد تعلّق بها وبدأ يحبها، لم يدرِ بالضبط أين هو، وما مشاعره، برغم جمالها الأخاذ، وفتنة جسدها الطاغية، إلا أن هذا لم يُخفِ فارق السن بينهما، هل سيوافق والده على زواجه منها؟ ومن سيخبره أصلاً؟

حاصرته الأفكار وتردد في اتخاذ قراره، شعرت بتردده ولم تُرد أن تضغط عليه، تعرف أنه سيتخذ قراره في النهاية، هو فقط يحتاج لوقوفها بجانبه، يحتاج إلى الشعور بالأمان الذي سيساعده لتغيير مجرى حياته.

في ليلة صافية مقمرة، جلست في أحضانه على شاطئ البحر، وقد احتواها بذراعيه القويين، كانت تغمرها السعادة وهي تستشعر دفئه وحنانه، همست في دلال: لقد اقترب موعد سفري، وأنا أشعر أنك لست مستعدًا بعد لمغادرة وطنك، وأنا لا ألومك، ولن أضطرك للمغادرة، فأنا أريدك معي لنستقر هناك، وتباشر كل أعمالي هناك، أريد أن أكمل حياتي بجوارك. تلعثم وهو يحاول أن يذكر بعض الأسباب والحجج، وضعت يدها على شفاهه وهي تلقي برأسها على كتفه وتهمس: وقتما تجد نفسك راغبًا في السفر، اتصل بي وسأقوم بكل شيء لتيسير حضورك.

توقفت الكلمات بحلقه، ضمها بشدة وغرق معها في قبلة طويلة.

في صباح اليوم التالي، وجدها جالسة قبالته في كامل زينتها وهي تطالع وجهه وهو نائم، فتح عينيه بصعوبة، مد يده إليها، أمسك بيدها، قرّبها من فمه وقبّلها، مرت بأصابعها خلال شعره وهي تنظر إليه بولهٍ ورقة، مدت يدها لحقيبتها، أخرجت ورقة صغيرة قدّمتها إليه، فتحها برفق، أصابته دهشة وهو ينظر إليها، سألها: ما هذا؟ تبسمت وهي ترد: هذا شيك بثلاثين ألف دولار، رد ودهشته مازالت تعانق تعبير وجهه: أعرف قيمتها، قاطعته: أعتقد أن هذا المبلغ كافٍ لبدء مشروعك الذي حدثتني عنه يومًا وحلمت

بتحقيقه حينما يتوافر لك المال، اعتبرها هدية من صديق يحبك، سلفة من حبيب أمضى معك أجمل أيام عمره، لا أريد أن أرحل وأتركك وحدك هنا لهمومك، ألم أكن سببًا في تركك لعملك، ولا أريد أن أجبرك برحيلي على السفر خلفي دون رغبة أكيدة في البقاء معي... كعادته لم يحر جوابًا، وترك لعينيه مسؤولية الرد.

يوم رحيلها، شعر بانقباض قلبه، أراد أن يثنيها عن السفر، ابتسمت وهي تعتذر بلطف، وتُذكّره بأعمالها التي أهملتها طيلة فترة إقامتها معه، أذعن للأمر، ودّعها وهو لا يدري أين سترسو سفينة أفكاره.

تركته أسبوعًا قبل أن تتصل به لتطمئن عليه، كان قد رتب أفكاره قليلا، أخبرها أنه شرع في تنفيذ مشروعه، وسيطلق اسمها عليه - كاترين نت كافيه- شجّعته بفرح وهي تبثه شوقها إليه.
حين أبصر مشروعه النور، كان قد مضى على سفرها خمسة أشهر، لم ينقطع يومًا الاتصال بينهم، اطمأنت إلى مشاعره تمامًا، وعرف هو أنها قدره، وشعر بحبها يتملك كيانه.

حزم حقائبه متوجهًا إلى قريته، كان يدرك صعوبة قراره، لمح والده القلق يجول في خاطره، اصطحبه في نزهه خارج الدار، لم ينبس

ببنت شفة طوال طريقهم، ربت والده كتفه وهو يهمس: ألن تبوح بمكنون صدرك، زفر أهة وهو يهم بالحديث، استمع والده دون أن يقاطعه، حين انتهى، شعر بأن الثقل الذي كان ينوء به صدره، قد انزاح، التفت إلى والده المستغرق في التفكير، ابتسم بحكمة السنين الموسوم بها وجهه، وهو يرد في حزن: أظنك قد اتخذت قرارك، فلا فائدة من اعتراضي الآن، ابتلع ريقه بصعوبة قبل أن يحاول الدفاع عن نفسه، عاد والده للنظر إلى الأفق وهو يتمتم: لم تعد صغيرًا، لكن تذكر أنه اختيارك أنت وحدك، وأنت من سيتحمل كل نتائجه، لن أملك لك سوى الدعاء، ولن أكرر ما قلته لك سابقًا، احفظ الله في نفسك ودينك. هوى إلى يد والده يقبّلها، مسح رأسه بيده وهو يربت بالأخرى كتفه.

نام ملء جفونه تلك الليلة، بعدما هاتفها مبشرًا بقدومه... لم تمضِ عدة أيام إلا وهي تخبره بموعد حضورها لمصر مع كل الأوراق اللازمة لسفره، فكر أن يغلق المشروع الذي بدأه، رفضت وهي تذكره بأنهم سيكونون على موعد دومًا مع مكان لقائهما الأول.

تمت مراسم الزواج ببساطة، وغادرا إلى موطنها في نفس اليوم، لكنه لم يشعر بتلك الفرحة التي كانت تعانق خياله سابقًا، حين كان يفكر في السفر.

مرت سنواته الأولى رائعة، كانت تحوطه بكامل رعايتها، لم تُشعره يوما أنه يعمل لديها، بل كانت تتفنن في إرضائه، والحرص على مشاعره ، ذكاؤه وطموحه نقلهما من نجاح إلى آخر ، رغم سمار بشرته إلا أنه نجح في الاندماج ، حتى ما عاد يشبه بني جلدته في شيء ، كان كلما حقق نجاحًا تصر أن تصحبه إلى مكان لقائهما الأول، يمضيان بضعة أيام، كان يحرص خلالها أن يزور والده، فكر في اصطحابها مرة، لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة، احترمت رأيه ورغبته.

تسارع مرور الزمن وبدأت نضارتها تذبل أمام فتوته واكتمال نضوجه، تلفت حوله، لم يجد إلا عجوزًا تحبه، لكن سؤال والده الذي كان يطل من عينيه مع كل زيارة عن الحفيد الذي يحلم به، كان يؤرقه، حاول تجاهل الأمر، والانغماس في العمل أكثر فأكثر.

في ليلة مقمرة ، تشبه ليلة لقائهما الأول ، وجدها بانتظاره في الشرفة، قبلها برفق وهو يسندها بيده، همست في ضعف: أنت أعظم شيء حدث لي في حياتي ، ضمها برفق بعد أن ألقت برأسها فوق كتفه ، حسبها قد غفت ، لم يُرد أن يوقظها ، مكث ساعة ، حين مد يده إليها ، كانت يدها باردة ، أسلمت الروح ، بكاها في صمت، واصل بكاءه حتى الصباح، لكنه لم يكن يدري أيبكيها وحدها أم يبكي حاله!

بعدما أنهى مراسم دفنها، عاد إلى العمل ووحدته التي كُتبت عليه شعر بخواء، وجد نفسه مشدودًا إلى السفر، لم يفكر طويلاً، في الصباح كان قد وصل، ألقى بجسده على نفس الكرسي قبالة الشاطئ، مرت ساعات وهو يداري عينيه من الشمس بذات القبعة، ملّ رقدته، كانت الشمس قد بدأت تميل إلى الغروب، قام يسير بمحاذاة الشاطئ، كان يستمتع بهبوط قرص الشمس في مياه البحر بهدوء، حين غرقت الشمس تمامًا، كان قد وصل إلى نهاية الشاطئ، لمح فاتنة ممدة على كرسي أمامه، التقت أعينهما، أومأ إليها بالتحية، بادلته بابتسامة باردة، سألها بعفوية، هل تتحدثين الألمانية؟!

حين يرفض الجنيّ

جلستُ في حجرتي البسيطة أعاند ذاتي قرابة الست ساعات، أزرع الحجرة إيابًا وذهابًا، تارةً بقدمي، وتارات بفكري؛ لعلي أجدها، لكن وبعد مرور الساعات، فشلت، مزقت أوراقي في غضب، وقمت إلى نافذتي الصغيرة في محاولة من محاولات الهروب المؤقت، نظرتُ إلى الشارع وتبسّمت، شعرت بأني سيد العالم وكل من بالأسفل بحجم الذر، انتبهت لذاتي، ربما هذا الشعور هو ما يعيقني عن تتمة حرف من أحرفي التي كانت طوع بناني دومًا. انطلقتُ أعدو هابطًا صوب الشارع، وجدتني مندفعًا لمخالطة أرتال البشر التي لمحتها قبل قليل من نافذتي، ضوضاء، روائح تختلط وأجساد تتدافع في لهاث، منظومة غريبة غيبتني عن واقعي لدقائق قبل أن أندمج في تفاصيلها.

عندها فقط، نشط ذهني وبدأت أفكاري في الانسياب كجدول رقراق، وجدت الفكرة بل أفكارًا عدة، وكأن الجنيّ المحبوس قد خرج بألف ألف فكرة وألقاها تحت قدمي، قادتني خطواتي إلى مقهى قريب، بمجرد أن استويت جالسًا، أخرجت أوراقي وقلمي،

شرعت في الكتابة، وقبل أن أسترسل، قاطعني صوت يسألني ماذا سأشرب ، نظرت إليه بضيق وأنا أصيح: شاي ، تعجب من صراخي وذهب وهو يتمتم، أمسكت بقلمي من جديد، فاجأني صخب أصوات متنافرة من داخل المقهى ، كانت هناك إحدى المباريات حمي وطيسها ، استجمعت ذاتي من جديد وهممت بأوراقي من جديد، لولا ما لمحته على البعد، شخص يرتدي أسمالاً باليهة ، يجر عربة خشبية محملة بكل ما هو قديم بالٍ وينادي : (بيكيا)، والتي فهمت فيما بعد أنها كل ما هو قديم مستغنى عنه للبيع ، لكن ما شدني كان ذاك المصباح المعلق بخيط على يد العربة ، قمت إليه وسألته في تردد : المصباح للبيع؟ نظر إليّ بتفرسٍ ثم أومأ وهو يشير إلى المصباح: "ده من الأثارات يا بيه، ده ظهر في فيلم علاء الدين والمصباح السحري" ، أراد أن يكمل ليرفع سعر بضاعته، لم أمهله، وضعت في يده ورقة نقدية تهلل وجهه بها فرحًا، وسارع يناولني إياه. لم أدرِ سبب اندفاعي لشراء هذا المصباح، ولم تكن عادتي التسرع في شراء شيء.

وجدتني لن أفلح في مواصلة محاولاتي في هذا الصخب، أفلتُ عائدًا إلى البيت، حين وصلت، وضعت المصباح أمامي وجلست

محملقًا فيه، ترى لو كان هناك مصباح سحري حقيقي، وبه هذا الجني الذي يخرج في الأساطير، ماذا كنت سأطلب منه؟

تبسمت وقد راقتني الفكرة، ربما كنت سأطلب منه أن يكتب لي ألف قصة، وربما كنت سأجعله ينشئ لي دارًا للنشر، ولكن أكنت وقتها سأرضي غروري، أشبع رغبتي في الكتابة؟

طردت أفكاري وقمت إلى قلمي وأوراقي من جديد، بدأت في الكتابة، وكلما كلت يدي، كنت أختلس النظر إلى المصباح وأتخيل الجني وهو يتقافز نشاطًا، فاردًا عباءة الأفكار لأتخيّر منها ما أريد، ثم وبسرعة أعود لأوراقي متممًا ما بدأت.

مرّت الأيام وأنا ومصباحي على وفاق، نتشاطر الوقت كتابةً وظنًا، لم يتحرك من مكانه، وأنا لم أحاول أن أغير مكانه المواجه لي دومًا. قصتي التي بدأتها، كانت قد قاربت على الختام، وكنت أستشعر جمال ما كتبت وقوة بنيانه، لذا كنت أعيد قراءة كل ما كتبت كلما هممت بأن أكمل ... حتى تلك الليلة، توقف نزف أحرفي، ووجدتني غير قادر على كتابة ولو حرفًا واحدًا، نضب معين الفكر، وجلست قبالة مصباح الجني هذا، كنت على يقين أنها حالة طارئة، ستعود بعدها أحرفي لتنساب عبر الصفحات، لكنني كنت على خطأ، فقد طالتني نفس الحالة السابقة، وجلست أحملق

في الأوراق تارة، وتارةً أزرع الحجرة سيرًا، أطيل النظر من نافذتي، ثم أعود مركزًا نظري على المصباح، تلوح بسمة على ثغري وأنا أتخيّله قد أفاق من غفوته وخرج إليّ يفرك عينيه محملقا فيّ، ومناديًا: شبيك لبيك عبدك بين يديك.

سخرتُ من فكرتي، قمتُ مرتديًا ملابسي، توجّهتُ صوب الطريق في محاولة لمعانقة الأحرف من جديد.

قادتني خطواتي إلى الشاطئ، لمحتُ قاربًا صغيرًا يتهادى على سطح الموج، أقترب من حافة الشاطئ، دون تفكير قفزت بمساعدة صاحبه، سألني وهو يبتسم في أدب عن المدة التي أرغب في قضائها متنزهًا، أشرت إليه أن ينطلق ولا يسأل، لم تكن لدي خطة محددة، بعد صمت طويل التفت إليّ في محاولة منه لاستدراجي للحديث، سألني عن عملي، رددتُ باقتضاب، فهم أنني لا أود الحديث، عاد إلى صمته وعدت أنا إلى تأملي وأفكاري المتضاربة تضارب الموج، مرت بذهني حكايات أمي عن عروس البحر، وكيف سحرت الصيادين بجمالها، وكم هلك منهم وهم يحاولون الوصول إليها، وتخيّلت بطل القصة الذي استطاع أن يفك السحر ويتزوج الأميرة المسحورة...

ارتج القارب إثر موجة قوية ، أعادتني الهزة إلى واقعي ، تبعتها موجة أشد، أفقدتني التوازن، في لمح البصر وجدتني أصارع الأمواج اختفي عن ناظري القاربُ، لم أكن أجيد السباحة، تمنيت في تلك اللحظة أن أرى عروس البحر التي عاشت بخيالي منذ طفولتي، وتبسّمت وأنا أحاول إنقاذ نفسي بضرب المياه بكلتا يدي، وصورة الجني تتجسد أمامي، لم تفلح ضرباتي في إنقاذي، وجدتني أغوص إلى الأعماق، لكن العجب أني لم أكن أختنق.

حين لامست القاع، بدأت أسير وأنا أتلفت حولي ودهشتي مما أنا فيه تلفني، بعد عدة خطوات لمحت طيفها، لم تكن عيناي لتخطأها، وهي التي لازمت خيالي منذ الطفولة، حاولت الاقتراب منها، نظرتْ في دلال وهي تسحب ذيلها في حياء وتبتعد، اختفت بين الصخور، بدأت أشعر بتسرب الملح عبر أنفي، انتابني سعالٌ حاد، فتحتُ عيني بصعوبة وأنا أشعر بالملح ينساب عبر فمي، وجدتني ممددًا على طاولة، وحولي جمع من الناس، تمتم أحدهم بحمد الله، وردَّ آخر لقد أنقذ بأعجوبة.

شعرت ببرد يلف جسدي، أحضر أحدهم غطاء لفني به وهو يسألني عن عنواني، حين وصلت إلى البيت ودّعته شاكرًا، دلفتُ إلى سريري بعدما بدلتُ ملابسي، لم أستطع النوم، التفتُ إلى طاولتي، لمحتُ المصباح، افتر ثغري عن ابتسامة، قمت متثاقلاً،

حملته بين يدي، بقيتُ أنظر إليه ولسان حالي يتوسل إلى الجني أن يخرج، غفوت للحظة، كاد يسقط من بين يدي، وضعته برفق فوق الطاولة والتقطت قلمي، بدأت في سطر قصتي الجديدة،أما أوراقي القديمة فقد نحيتها جانبًا ، حين أيقنتُ أن الجني مازال يرفض الخروج.

لحظة صمت

تدحرجت دمعة حزينة ، تبعثرت الأسئلة الحبلى ، من لها الآن؟ أين دفء الكف التي كانت تحتضن دمعاتي؟ وأين العينان اللتان كنت أسكنهما ، حين تغتالني أحزاني؟ أين وألف مثلها فردت أشرعتها بوجهي وزمجرت في غضب؟ عشش الحزن بوجهي ، وسكنت فؤادي وحشة الألم، غادرتني بسمتي إلى غير رجعة.

لمحت في زاوية حبات العقد متناثرة، قمت إليها، حاولت التقاطها، أبت أن تجتمع في كفي، تبعثرت، أطلت ابتسامة باهتة من شفتي، همستُ: حتى أنتِ تأبين إلا الابتعاد؟

سمعتُ خشخشة عبر النافذة، التفتُ، قطرات المطر الخريفي تعانق الزجاج والغيم يطل على البعد ، تسمرتْ عيناي فوق شجرة تترنح تحت زخات المطر وقسوة الرياح ، انفجرت بداخلي رغبة محمومة للخروج. حين فتحتُ الباب صدمتني برودة الهواء، ارتجفت أطرافي ، بللت الأمطار وجهي ، راودني إحساسٌ طفولي بالعدو ، تلفتُ يمينًا ويسارا ، يكاد الطريق يكون خاليًا ، أطلقت لقدمي

العنان، شعرت للحظات وكأن همومي تتناثر مع عدوي، تثاقلت خطواتي مع اقترابي، لمحت أمواجه ثائرة يزبد ويرغي في غير هوادة، واجهته متحدية، صمدت للحظات قبل أن يلقي بموجه في وجهي، تبللت من أخمص قدمي حتى مفرق رأسي، انتفضت وقد اقشعر بدني، حاولت التراجع، تسمرت قدماي في عناد، كرر هديره وهو يلقي بموجة ثانية، أطاحت بما تبقى من صمودي، قفلت عائدة وجسدي كله يرتعد.

بتُ ليلتي محمومة، اختلطتْ الرؤى بالأطياف بذاكرتي وذكرياتي، بحثتُ بين الصور المتلاحقة عنه، لكنه كطيفٍ غارقٍ في ثنايا الظلمة كان يتفلّت فلا أبصره، جف دمعي بعدما روى حزني حتى أورق، فراقه لي لِمَ كان بتلك القسوة؟ هل شعر بما شعرت أنا به؟ يكاد رأسي ينفجر، لو أعرف السبب !! ربما حينها تهدأ نفسي، لا يستطيع قلبي أن يكرهه... ليتني أستطيع !! لما كنت شعرت بهذا الحزن، ولما أطبق على صدري الضيق.

لم أدّخر وسعًا لإسعاده، ولم أوفر صبرًا على قسوته معي، وتجاهله لمشاعري حين قرر هجري، لقد أحببته بكل كياني، كان حلمي الذي انتظرته سنينًا، ولم أشأ أن أفقد حلمي، كنتُ على يقين من حبه لي، كلماته، أشعاره التي ملأ الدنيا بها شدوًا، نظراته حين

التقينا للمرة الأولى ، دفء الصدق المعانق لصوته ، وثوق نبرته التي تقطر رجولة وتشع مهابة، الحنان الذي يطل من عينيه، اللهفة الصادقة حين يلمح بعينى حزنًا، رقته وهو يمسح على رأس طفلة تسأله أن يعبر بها الطريق فيشتري لها الحلوى ؛ قبل أن يودعها ببسمة ، أشياء ثبتت حبه بقلبي ، رمت بي في متاهة ، علقتُ فما عدت بقادرة على تحديد بوصلة مشاعري ، ما كرهتُ يومًا أحدًا ، فكيف بمن منحني السعادة ولو لفترة قصيرة؟! لكني أشعر بغصة في قلبي مما فعله بي ، حتى دموعي نضب معينها ، بقيت أحاور ذاتي ، شملني حزن قبل أن تغفو عيوني.

حين أفقتُ ، كان النهار قد انتصف ، قمت إلى النافذة ، لمحت أشعة الشمس مخترقة الغيم في تناغم رائع ، هبت نسمة خريفية منعشة ، تطايرت خصلات شعري ، التفتُ إلى المرآة ، لمحتُ بقايا الحزن على وجهي ، خلعت ملابسي في طريقي للاغتسال ، حين لامسني الماء ، تذكرت ليلة البارحة ، اقشعر بدني ، مكثت دقائق ، هدأتْ نفسي ، شعرت براحة ، قررت الخروج لأول مرة منذ فراقه لي.

دفء العيون المصافحة لوجهي في ود ، والابتسامات الرقيقة المصاحبة لعبارات الاطمئنان عن أحوالي ، زادت من ثقة خطواتي لم تكن وجهتي واضحة ، حملتني قدماي إلى الشاطئ ، لمحتُ على

البعد صبيًا يلقي بصنارته، أسندت يدي إلى السور ورحت أراقبه خلسة، يسحب صنارته خالية، ثم يعيد الكَرَة بلا ملل، سادت لحظة صمت، أخيرا تهلل وجهه وسمكه كبيرة علقت بالصنارة، رفعها في فخر، تلوّت يمينًا ويسارًا وهو يحاول ألا يفلتها، وقع في نفسي خاطر، أتراها تتألم؟ وإلا لم كل هذه الحركة والتلوي، لكن مما؟! من الصنارة التي علقت بها!!! أم أن انتزاعها من عالمها المائي، أشد إيلاما؟

شردتُ متسائلة، لكني لم أفلح في الإجابة.٠٠٠٠٠٠٠

تركت الصبي وسرت بمحاذاة الشاطئ، تداعت الأفكار إلى رأسي، وشريط حياتي يمر أمام عيني، حاولت أن أمسك بتلابيب أي إنجاز حققته، لم أفلح، حياتي كانت عادية أكثر مما قد يخطر على بال أحد بل والأكثر أن إخفاقاتي كنت عاجزة عن حصرها!!

أطرقت للأرض ودمعة تراوح بين النزول ومحاولة التماسك، حرارة الشمس كانت قد بدأت تشتد، تسارعت وتيرة خطواتي، وكأني أعرف وجهتي، فجأة دوى صوت ارتطام، التفتُ، فإذا بشخص ممدد على الأرض في وسط الطريق، اقتربت من الجمع الذي كان قد بدأ مع نزول السائقين، لمحت شابة في العشرينيات

ممدة بلا حراك ، مرت لحظة صمت ثقيلة ، عبارات التأسف والحوقلة لم تُجدِ نفعًا، فقد أسلمتْ الروح.

وجدتني أجهش بالبكاء وأنا أبتعد مغادرة ، لم أستطع التوقف ، لكنني كنت عاجزة عن تحديد سبب بكائي ، أكنت أنعي نفسي وشقائي في هذه الحياة، أم أنعي تلك المسكينة.

هدأتْ نفسي قليلاً، جففت دمعي، اعترض طريقي بائع الورد، ألح في عرضه، تناولت واحدة بعدما دفعت إليه النقود، قلبت الوردة بين يدي، كانت ندية تفوح منها رائحة زكية، ضممتها إلى صدري، شعرت بالتعب ، جلست فوق حافة السور الفاصل بيني وبين البحر ، عشت لحظة صمت طويلة ، بقيت على حالي محملقة في الموج، لم أدرِ كم مرّ من الوقت، لكنني شعرت بسكينة لم أستشعرها من زمن ، وكأني بأمواج البحر قد طهرتني من أحزاني ولحظات الصمت أعطتني فسحة كي أكف ولو للحظات عن لوم نفسي ومحاورة ذاتي.

حين عانقت الشمس البحر ، احمر موجه خجلاً ، ضمها برفق ، ذابت بين أمواجه ، تحسستُ الوردة بين يدي ، تنهدت في راحة ، هبتْ نسمة باردة، قفلتُ عائدة وأنا أستشعر راحة.

حين وطئت قدماي البيت، كان الحزن قد غادره، وعشش دفءٌ في جنباته، قبلت الوردة قبل أن أضعها في إناء الماء، بدلت ملابسي، شعرت بالنعاس.

حين وضعتُ رأسي على الفراش؛ رحتُ في نومٍ عميق، وابتسامة واثقة تعانق شفتي.

انكسار

كان قد اقترب من النافذة المسيجة بقضبان ذكّرته بأيامه الخوالي، أنطلق الصوت مجلجلاً ومعلنًا الإغلاق؛ قبل أن يحصل على أرغفة الخبز التي انتظرها ساعات، جرّ قدميه في يأس، وصل إلى طرف الرصيف، جلس متثاقلاً، انهمرت من عينيه الدموع، وشعوره بالانكسار وقلة الحيلة يعتصرانه، شعر بغصة في حلقه، تقافزت الأسئلة بحلقه، ماذا تراه سيخبر حفيده عند عودته خالي الوفاض؟ بكى بحرقة.

لم يدرِ كم مكث على حاله، حين رفع رأسه تداعت أمام عينيه الصور، عاد بذاكرته إلى أولى انكساراته. لم يكن يومها قد تعدى السبع عشرة سنة، سمع بالهزيمة، النكسة كما كانوا يطلقون عليها، شعر بمرارة الذل والهوان يومها، ليس من الهزيمة، لكن من خداع من آمن بهم، كان وقتها يافعًا، حاول أن يقاوم انكسارته. لم تمضِ سنوات كثيرة، وجاءت الضربة الثانية، تم رفضه في كلية الفنون، الكلية التي عشقها، لم يدر السبب، أهو الروتين، البيروقراطية، أم

حظوظ غيره ممن لهم الحظوة؟ لم تشفع له ريشته، لم تسنده موهبته، حطّ رحاله بكلية أخرى، لم يدر لما دخلها، ولا كيف خرج منها، حاول في أثناء وجوده هناك أن يشغل نفسه بأي شيء ينسيه أنه لم يحقق حلمه، انضم لإحدى الجماعات المنتشرة بالكلية، أفاق وهو في أحد السجون، جلس وحيدا منهكًا، تساءل في وهن هل سكنته الذلة، الإهانة هذه المرة فاقت كل حد، كرامته انتهكت، واستبيحت إنسانيته، ذاق أيامًا من العذاب، في النهاية وجد نفسه ملقى خارجًا بلا تحقيق أو عرض على القضاء. حين حاول فتح عينيه، وجد نفسه بجوار كيس نفايات، ربت عليه وهو يتحامل على قدميه ليغادر، تمتم وهو يودعه بنَظَرِه، ما الفرق بيننا؟! عاد إلى الكلية، قضى معظم وقته ساهمًا، تعلم أن يبقى وحيدا، لا يتحدث، لا يشارك في أي نشاط، مضت سنين دراسته، يوم حصوله على شهادته، خاصمته الفرحة بعد أن أختطف الموت والديه تحت أنقاض بيته العتيق، بكى يومها صمتًا، بعدما عنفه الحزن بقسوة، واقترنت الوحدة بمشاعره.

بزغ شعاع أمل حين عرض عليه أحد أصدقاء والده عملاً، مرت أيامه بطيئة، لكنه شعر أن الهمَّ ربما سئم مصاحبته، حاول أن يقبل على عمله ويجتهد، فاجأه صديق والده بعرضه الزواج من ابنته

ومرافقتها في عملها بإحدى دول الخليج، تم الأمر بسرعة، تنفس الصعداء وهو يرى الأمل يعاود مداعبة حياته، مرت أيامه بيسر، رُزق بطفل وفرصة عمل جديدة، طار قلبه الذي ما عرف الفرح من زمن، تحمل الكثير في سبيل أن يستمر في عمله، برغم ضغوط صاحب العمل، حاول الاستمرار، ازدادت الضغوط، والإهانات، اتفاقية الصلح مع العدو فجرت غضب صاحب العمل، لم يتبرّم، علّمته المحن التي مرَ بها الصبر، يشعر كل يوم بزيادة المهانة.

جاءت القاصمة، فارقت زوجته الحياة، لم يستطع الاحتمال، غادر عائدًا إلى وطنه، بعدما تكالبت الظروف عليه، قست عليه الحياة أكثر مع وفاة حميه، بعد عودته بأشهر قليلة، مكث في بيت حميه، بعد أن رق قلب العجوز صاحبة المنزل له ولولده، بل وطلبت منه أن يترك الصغير لديها.

رحمة الله ساقت إليه الفرج، موجة الانفتاح التي أغرقت الوطن أوجدت له فرصة عمل براتب جيد، في سنوات قليلة تحسنت أحواله، أدخل ولده المدرسة، وشق طريق نجاحه في عمله، أصبح لديه رصيد في البنك، شعر بأن الدنيا قد أقبلت عليه، وأنها لن تدير ظهرها له من جديد.

مضت عدة سنوات قبل أن تنهار شركات كثيرة ، بعدما فضح أمرها ، وأمر تجارتها بالأغذية الفاسدة ، أغلقت الشركة أبوابها ، وكادت الاتهامات تطوله، لولا رحمة الله.

عانى طويلاً قبل أن يدله أحد أصدقائه على شركات توظيف الأموال التي تعطي أرباحًا عالية ، توجس من الأمر في البداية ، إلحاح صديقه ورغبته في أن يكمل ولده دراسته، دفعاه إلى الموافقة، سلم كل ما ادخره إليهم ، مرت أشهر وهو يستلم أرباحه على أحسن وجه، كان راضيًا، لم يكتمل العام الثاني إلا وقد توقفت الدفعات، ضيقت الحكومة الخناق على شركات توظيف الأموال، هرب البعض وسجن آخرون، وفقد البسطاء أمثاله أموالهم...

عاد معدمًا، وعادت الظلمة تساكن حلمه.

تلاطمت أمواج حياته وهو يكابد ضيق العيش ، ويراقب ولده الوحيد وهو يخطو نحو الجامعة، كانت هذه سلواه الوحيدة، تنقل بين أعمال كثيرة ، حرصه على أن يوفر لولده فرصته لإكمال تعليمه، جعلته يعمل ليل نهار، ويقبل بأي عمل.

كانت فرحته لا توصف حين التحق ولده بكلية الهندسة، مرت سنوات دراسته سريعًا، وهو يتطلع بشغف ليوم تخرجه، تنفس

الصعداء أخيرًا تحقق حلمه، وأصبح والد المهندس، خرَّ راكعًا شكرًا لله أن أدرك هذا اليوم.

مرت أشهر قبل أن يجد ولده عملاً، حاول بشتى الطرق، أخيرًا ظهرت بارقة أمل، إعلان طلب مهندسين بإحدى دول الخليج، رغم قسوة البعد إلا أنه شجع ولده على السفر، مكث عامًا وعاد كما وعد أباه حين ودّعه في الميناء، عانقت دموع الفرحة قلبه، أسرَّ إليه برغبته في أن يزوجه، دمعت عيناه وهو يهمس: أريد أن أرى حفيدي قبل أن ألحق بأمك، مازحه: لكن أين العروس، تهلل وجهه وهو يصيح، بنت جارنا، كما تزوج هو قبلا.

تمت الأمور بيسر وتم الزواج، لم يمكث غير شهرين، غادر بعدها إلى عمله تاركًا زوجه حاملاً، مضت الأشهر سريعًا، وهو يغالب لهفته لاحتضان حفيده، لم يستطع ولده الحضور لظروف عمله، حين تلقف سمعه صوت الصغير، شعر بسعادة لم يستشعرها إلا يوم تخرّج ولده من كلية الهندسة، سهر على راحته وراحة أمه.

مضت ستة أشهر كأنها ستة أيام وهو يعايش صغيره ليل نهار، لا يفتأ يحتضنه ويقبله، لا يتركه لأمه إلا وقت النوم، اكتملت سعادته برسالة من ولده يحدد موعد عودته، انتظر يوم وصوله بلهفة،

اصطحب حفيده وزوجة ولده لاستقباله في الميناء، تأخرت العبَّارة، تهامس الجميع في قلق، تعالت الهمسات، اخترق الصمت صوت صياح النسوة، لقد غرقت العبَّارة، لم تستطع قدماه أن تحملانه، تجمد الدمع بعينيه، لم يستطع المغادرة، كان يأمل ألا يكون الخبر صحيحًا، احتضن حفيده في جزع، لم ينطق بحرف طوال رحلة العودة إلى البيت، مكث أيامًا لا يبرح السرير، ترك الحزن رسائله محفورة على قسمات وجهه، حاولت زوجة ولده أن تخرجه من صمته، تترك حفيده يداعبه، استجاب لابتسامته بعد فترة، أخذ عهدًا على نفسه ألا يشعره باليتم يومًا، وأن يكون له والدًا قبل أن يكون جدًا.

مرت سنوات ست، وكل يوم يزداد شظف العيش، ويزداد حمله، لكنه يتذكر عهده، فيزداد إصراره على مواصلة سعيه، وعدم السماح للزمن أن يكسره، كفاه انكسارات، لكن الزمن يقسو أكثر، كلما لمح الإصرار على ملامحه المنهكة.

كان الغد هو أول يوم لحفيده في المدرسة، وعده بأن يلعب معه بعد أن يحضر الخبز لطعام يومهم هو وأمه، شرط أن يكون رجلاً ويذهب غدا للمدرسة مبتسمًا فرحًا، استفاق على صوت جلبه صادرة عن المخبز، استند على حافة الرصيف وهو يحاول أن يقف

ليعرف سبب الجلبة ، تدافعت جموع الجوعى بعد أن هددهم صاحب المخبز ، نشبت مشاجرة، حاول الابتعاد، لم تسعفه قدماه، وجد نفسه تحت الأرجل تركله بلا رحمة وهم يتشاجرون على رغيف خبز، لم يستطع الصمود، انهارت قواه...

تبسّم وهو يسلم الروح، فقد أيقن أنه لا انكسارات بعد اليوم.

قمر

لم يدر بخلدي وأنا أضمها إلى صدري، وأحيطها بذراعي قبل أن أطبع على جبينها قبلة، أنها المرة الأخيرة التي ستتلاقى أرواحنا وأجسادنا معًا... هبطتُ الدرج بخفة، حين صدمني هواء الطريق، التفتُ بعفوية ناظرًا إلى الشرفة في الأعلى، لمحتها تمسح دمعتها بيدها وهي تلوح بالأخرى، تبسمتُ وأنا أحاول التماسك وتابعت طريقي، لم يكن يفصلني عن موعد الطائرة سوى سويعات قليلة، فكرت أن أسير قليلاً، كانت الشوارع مزدانة، وأصحاب محلات الحلوى منتشرين في كل زاوية، أدركت أن إحدى المناسبات الدينية على الأبواب، لمحت "عروسة" من الحلوى، راقني منظرها، شعرت بأنها تكاد تكون نسخة منها في رقتها، سارعت بشرائها لا أدري لِمَ! بعدما سرت خطواتٍ، نظرت لما بين يدي وتبسمت، أهو الطفل بداخلي؟ أم أنني أريد ألا أفقد مظاهر علاقتي بعادات أبناء وطني؟... مرَ طيفها أمامي، فكرت أن أعود لأهديها تلك "العروسة"، ترددتُ قليلا، كان فكري منشغلا، نظرت إلى ساعتي.. هممتُ بعبور الطريق، وجدتني أطير في الهواء بعدما صدمتني

سيارة انشقت الأرض عنها في لحظة.. احتبس صوتي، شدة الألم أفقدتني الوعي للحظة، شعرت بجسدي يقترب من الأرض، أغمضت عينيَّ فتراءى شريط حياتي كله أمامي.

أحرفي التي تناثرت عبر أوراقي فضحت أمري، على هامش كتاب السنة الخامسة كانت أولى كلماتي، موسيقى حرفي البسيط لفتت انتباه مدرس الفصل، تبسّم في هدوء بعدما أجبته أنني صاحب تلك الأحرف، ربت كتفي وهو يحمل الكتاب ليريه لزميلته مُدرّسة التاريخ، كان فخورًا بتلميذه، شجعتني ابتسامته واهتمامه بكل ما أكتب، توقف نزف قلمي بعدما غادرت المدرسة، انغمست في عنف طلاب المدرسة الإعدادية، كنا نحاول أن نثبت أننا رجال، ابتعدتْ عني أحرفي، ولم تطرق بابي إلا بعد شهر من دخولي المرحلة الثانوية، كنا في طريقنا إلى المدرسة حين لمحتها، وقفت متأنقة بزيها المميز الذي يعلن انتمائها لإحدى مدارس اللغات، لم أعد إلى المنزل ذاك اليوم، إلا وأحرفي تتراقص من جديد على ورقة زهرية اقترضتها من زميل، ظللت أمر مبتسما أمامها لمدة شهر، كانت لا تعيرني اهتماما في البداية، ثم أصبحت تبتسم وهي تدير وجهها متصنعة عدم اكتراثها بنظراتي، حلت إجازة الصيف ثقيلة وكنت أعلم أني سأحرم رؤيتها.

حين أُعلن عن تكوين جماعة أدبية في الصف الثاني، كنت قد شعرتُ بتمرد قلمي، كنت أكتب في كل شيء وعن أي شيء، كنت أكتب في هوامش كتبي والصفحات الأخيرة من كراسات الفصل، كنت أكتب خلف تذاكر الترام والقطار، شعرت بأني أصبحت من كبار الكتاب، جمعت كل قصاصاتي، صنفتها وذهبت إلى إحدى المطابع الشعبية، كان لدي بعض المال، وافق على طباعة الكتيب، حين تسلمت أولى النسخ وشرعت في توزيعه، أصابتني خيبة الأمل، من أنا وما قيمة ما أكتب! صدمت في قلمي غير المعروف وغير المرغوب فيه، حتى من أهديتهم نسخي، لم يُكلفوا أنفسهم تصفحها، ذبل القلم وشعرت بانكسار الحرف بداخلي.

النقلة الهائلة التي واكبت دخولي الجامعة، أيقظت في نفسي هاجس الكتابة من جديد، بدأت على استحياء، كنت أراقب وأكتب واصفًا العلاقات من حولي، كنت قليل الكلام خجولاً، متوجسًا من الدخول في أي علاقة كمعظم زملائي الذي لم تمض الأشهر الثلاثة الأولى، إلا وكان كل منهم قد تعرف رفيقة، وكوّنا ثنائيًا، كنت سعيدًا بكوني المتفرج الوحيد على قيام العلاقات وانهيارها، وكنت أسطر بقلمي كل ما يدور، ولم أطلع أحدًا على

حرف مما أكتب، ورغم انزوائي إلا أنني وجدتني بعد فترة كاتم أسرار الجميع، وجدتني من حيثُ لا أدري طرفًا في كل النزاعات والعلاقات، ومن ثم وجدتني أتحول إلى شخص اجتماعي مشارك للجميع في كل ما يفعلونه، وكانت تجربتي الأولى.

في إحدى الرحلات التي قام بها الزملاء، وجدتني أوافق على الاشتراك فيها، بعد إلحاح، بعد أن ركبنا الحافلة بدقائق، لمحتها، لم تكن ممن رأيتهم قبلاً، تكرر تلاقي أعيننا، كانت تضحك وتنظر إلى الأرض، شجعتني ضحكتها، اقتربتُ من مكان جلوسها، تلعثمتُ قبل أن أسألها عن اسمها، ردت وهي تبتسم، استأذنتُ صديقتها التي كانت تجلس بجوارها، جلست أتجاذب معها أطراف الحديث، كان الصخب عاليًا، غناء وفوضى وأصوات مختلطة، لكننا كنا في زمان ومكان آخرين.

كان التوافق في تركيبتنا جليًا، شعرت بدبيب الحب لأول مرة في حياتي، وعرفت معنى العشق، تحركت أحرفي من جديد، بعثت برقتها ودفئها كل الأحرف التي واراها التراب، كتبت فيها ولها الكثير، وهمت بها عشقًا، عرفت بحبها الجارف أن تجعلني أصوغ حرفي بجمال، غيرتها كانت تحركها أحيانًا للدفاع عن وجودها كأنثى وحيدة في حياتي، وكانت هذه نقطة الخلاف الوحيدة،

عشقها لتفردي في كتابة أعذب الحروف وأكثرها رومانسية كان يغفر لي عندها كل زلة.

تسارع مرور الأيام، وصفعتنا الحياة بواقعها المر، انتهت سنوات الدراسة، وتجلّت الصورة الواقعية بوقاحة احتياجاتها المادية وقسوتها، قررت السفر ولم أحسب لثورتها على قراري وابتعادي حسابًا، خيرتني بين البقاء أو اصطحابها لأي مكان أود الذهاب إليه، وكلا الخيارين كان مستحيلاً وقتها.

حينما شعرتْ بعنادي، جارتني في مشروع سفري، كنت كمن يقتلع قلبه بيده من صدره، حاولت التماسك لأجلها، لكنها صدمتني بتماسكها وغضبها المكتوم.

لم يمض شهران على سفري إلا وهي تخبرني بأنها قد خطبت، وأنني السبب لأني لم أستمع لصوت قلبها، وأهنت كبرياء الأنثى داخلها، اسودت الدنيا في عينيَّ، وشعرت بانهيار كل أحلامي، انطويت على ذاتي، كسرت قلمي وركزت كل حواسي في عملي، أدركت حينها أن القلم بيدي جسد يحتاج لانبعاث روح فيه؛ ليتحرك ولتدب فيه روح الإبداع، ودّعتُه بعد أن شعرت بأن مشاعري قد دفنت، وبأنني لم أعد قادرًا على إيقاظ حرف من أحرفي من جديد.

توالت أيامي مرورًا ، ونجاحاتي وانكساراتي ، صعودًا وهبوطًا ، فكرتُ أن أعاود محاولة التعايش مع ذاتي من جديد ، ومضت فكرة الزواج بذهني ، ربما تكون تلك بداية حقيقية ، قررت أن أُعمل عقلي هذه المرة ، وجدتها... إنسانة بسيطة أحلامها مثلها ، برغم أنني لم أجد قاسمًا مشتركًا بيننا ، إلا أنني صممت على الاستمرار. لم تمض السنة الأولى إلا وقد رزقنا طفلنا الأول، بعث بعض البهجة في علاقتنا، لم يطل الوقت حتى رزقنا طفلنا الثاني.

كنت تائهًا أبحث عن ذاتي ، عن بعض السعادة التي كنت أسمع عنها ، لكن لا جدوى ، شعرت وقتها أن ساعة التغير التي كنت أنتظرها قد توقفت عقاربها وصدأت تروسها ، بحثت حولي ، لم أجد إلا قلمي الذي رقد في سبات، حاولت أن أوقظه، عله يكون سلواي فيما آلت إليه حياتي ، مضت أشهر قبل أن أفلح في استعادة وهج حرفي ، كنت أعيش ، لأنه يجب أن أعيش وليس لسبب آخر ، كل الحزن الذي تراكم بداخلي كان وقودًا انطلقت منه شرارة البدء ، وجدتني كبركان تفجر ، نهر انسابت جداوله ، ومع هذه البداية وتلك الصحوة لقلمي ، بدأت أنشر ما أكتبه ، وبدأت قصتي مع قمر في ذاك الوقت.

كنت أتلقى رسائل الإعجاب ممن يتابعون ما أكتب ، كنت أرد على بعضهم ، وأتابع بشغف أعادني سنواتٍ ، ومنح قلبي رشفة من إكسير الحياة، تميزت رسائل قمر برقتها وعذوبة أحرفها، تنامى اهتمامي برسائلها كثيرًا، وأصبحتُ أنتظر أي حرف تخطه وأتلهف لمعرفة رأيها فيما أكتب.

شعرت هي باهتمامي، توطدت علاقتنا لتشمل الجانب الشخصي وليس الأدبي فحسب، كانت صاحبة قلم راق، وإحساس مرهف، تشاطرنا كل حرف، وشعر كل منا أنه إنما خُلق للآخر، كان هناك من القواسم بيننا الكثير ، شعرتُ بعاطفة جارفة تجاهها ، رقص قلبي فرحًا حين صارحتها بمشاعري وأجابتني على استحياء أنها هي أيضا تُكنّ لي نفس المشاع، ر وربما أكثر.

لم يمض وقت طويل حتى تعرف كل منا على حياة الآخر بكل صدق وشفافية، احترمتُ بساطتها واحترمتْ صدقي، ازداد تقاربنا وشعرنا بأننا لن نستطيع العيش إلا معًا، تفهمها لوضعي العائلي بسط الأمور كثيرًا.

كنتُ أعلم أنني سأجابه بسيل من الغضب، لكن حبي الجارف لها كان سندي ، سافرت إليها لترتيب أمر ارتباطي بها ، بين عشية وضحاها تزوجنا، وقضينا معًا أجمل اللحظات، رقتها فاقت كل ما

تصورت ، دفء مشاعرها كان يبهرني كل يوم ، أنوثتها الطاغية ملكت عليّ حواسي، شغفها وبساطة نفسها جعلا السعادة وصفًا بسيطًا لما كنت أستشعره وأنا بقربها، وكأن الحياة تريد أن تعوضني عن كل ما فات، كانت أنثى بكل ما تحمل تلك الكلمة من معانٍ، وكنت أنا ظمآن لذاك الحب الذي كانت تمنحه في رضا، أسكرني قربها وعاد قلمي ليكتب أجمل وأرق ما كتب على أنغام همسها، وعطر أنفاسها، ودفء عيونها.

كان لزامًا أن أعود لترتيب أموري ومعرفة كيف ستسير حياتي بعد الذي حدث، وكان لقائي بها لأودعها قبل دقائق من الآن... انقطع خيط الذكريات ولم أعد أشعر بشيء وجسدي يقترب من الأرض ويستقر عليها بلا حراك.

حين أفقت ، لمحتها بجمالها ورقتها على حافة السرير جالسة في سكون، همستُ في ضعف: قمر؟ مسحت دمعتها وهي تراني أفتح عينيَّ، اقتربتْ وابتسامة تكسو وجهها ، همستُ : كيف حالك حبيبتي ؟ توقفت الأحرف وأنا أرى بعض الشعيرات البيض قد تسللت إلى رأسها ، لمحتْ علامات الدهشة بعينيَّ، همست: لقد مضت ست سنوات على الحادثة يا حبيبي، سقطت من عيني دمعة، قبل أن أعود لغيبوبتي من جديد.

ذات صباح

وقفتْ تنظر من نافذة الحافلة التي تقلها يوميًا في طريقها للمدرسة وقد طال وقوفهم ، لمحت على البعد وجوههم البغيضة المكفهرة وهم يدفعون بسائق الحافلة أمامهم، ويركلونه وهو يحاول جاهدًا أن يتقي ضرباتهم بكلتا يديه وهرولته بقدميه اللتين لا تكادان تحملانه، سقطت على خدها دمعة وهي تتابع آهات الشيخ سائق الحافلة وهو يقترب من الباب متمتمًا بعبارات الانصياع ووراءه ثلاثة جنود مدججين بالسلاح ، ينعتونه بأفظع الشتائم التي ينطقونها بعربية غير واضحة، وهم يتغامزون ويتضاحكون، حين وثب إلى الحافلة، وقف أحدهم على الباب وهو يدق دقات عنيفة، طالبًا منه سرعة الانصراف، فالمعبر اليوم مغلق.

لم تكن المرة الأولى التي يعودون فيها أدراجهم ، لكن اليوم كان مختلفًا لـ"سنه" ، فقد ظهرت نتيجة الفصل الدراسي الأول وكانت الأولى ، وسيتم تكريمها اليوم مع المتفوقين ، كانت تحلم بهذا التكريم وتحاول ألا تنسى ما وعدتهم به مُدرّسة الفصل من جوائز ، طار قلبها فرحًا حين عرفت أن الدمية التي حلمت بها

أصبحت من نصيبها، لكن ها هم يقفون حائلاً بينها وبين تحقيق حلمها الذي انتظرته طويلاً، كتمتْ صوت بكائها وإن لم تستطع منع دمعها من شق طريقه عبر وجنتيها طوال طريق العودة.

رغم مرور عدة سنوات، إلا أن سناء لم تكن تفارق دميتها حتى وهي تكاد تعبر بوابة الأنوثة الكاملة بسنواتها السبع عشرة، في معظم الليالي كانت تصعد على سطح البيت مع دميتها وتحادثها تحت ضوء القمر، تشتكي لها، وتحكي لها عن رفيقاتها في الدراسة، عن همومها وأحلامها، وعن رفيقتها التي استُشهدت بنيرانهم أمام عينيها، ذكرياتها بحلوها ومُرّها، وكثيرًا ما كانت تغلبها دموعها وهي تتذكر أخاها الشهيد الذي فارقهم وهو يشارك في خلايا المقاومة، وتتذكر أن أمها يومها وزّعت الحلوى على أبناء الحي، ودموعها تخالط ضحكاتها المكلومة، من يومها أصبحت وحيدة، بعدما عصر الحزن قلب أمها فانزوت مع دموعها، تعمل في البيوت؛ لتستطيع أن تعيل نفسها وابنتها بعدما فقدت الزوج والابن.

ذات صباح وضفائرها تتراقص فوق ظهرها في طريقها إلى الجامعة، لمحته، طويل القامة حاد الملامح، ورغم ذلك تشعر أنه ودود، ابتسم حين تقابلت أعينهما، كانت ابتسامته؛ على جمالها؛ غارقة في

حزن قفز عبر سياج قلبها الذي عايش الحزن سنينا، نظرت إلى الأرض في خجل، بعدما شعرت بتورّدِ وجنتيها، عبرته وعيناها مغروستان في الأرض، وإن كانت تتمنى لو تستطيع أن تعاود الالتفات لتعانق عيناها ابتسامته، أمضت يومها ساهمة لا تستطيع صورته أن تفارق مخيلتها، أَمِلَت أن يبتسم الحظ لها من جديد وتراه في الغد.

بقيت على أملها في لقائه أيامًا، حتى بدأ اليأس يتسرّب إليها.

في طريق عودتها اليومي، لفت انتباهها جمهرة من الشباب يحتفلون، حين اقتربت وجدته بينهم يتلقى التهاني، التفت إليها فرحًا، لكنه لم يقل شيئًا، فهمت من تناثر بعض الكلمات أنه قد أُفرج عنه اليوم بعدما احتجزته قوات الاحتلال عدة أيام.

حين وصلت لحجرتها كان قلبها يطير فرحًا، ألقت بكتبها وأخذت ترقص وتدور في حلقات، أغمضت عينيها وحلّقت كفراشة، لم تشعر بسعادة مثلما شعرت في ذاك اليوم.

صباح اليوم التالي، كانت على موعد مع الفرح، اقترب منها في أدب مستأذنًا أن يصطحبها إلى الجامعة، لم تَردّ، لكن ابتسامة الخجل التي ارتسمت على شفتيها وهي تنظر إلى الأرض كانت كافية ليسير بجوارها مفكرًا، قطع الصمت بسؤالها عن دراستها،

تطايرت الأحرف من بين شفتيها وهي ترد باقتضاب، شعر بخفقان قلبها وارتباكها، صمت قليلاً قبل أن يبدأ في متابعة حديثه هذه المرة عن نفسه، كانت تستمع إليه بكلّيتها، تحولت كلها إلى أذن شغوف، تود أن تعرف عنه كل شيء، أفاض في حديثه عن نفسه وأسرته التي يعولها، كونه الابن الأكبر، وعن ظروفه وعدم تمكّنه من استكمال دراسته، ظل يتحدث وهي منصتة، شجعها حديثه على أن تنظر إليه، تلاقت أعينهما، شعرت بذات القشعريرة في جسدها حين رأته للمرة الأولى، ابتسم وهو يكمل حديثه إليها واصفًا إياها بأنها أجمل من وقعت عليه عيناه طوال عمره، احمرت وجنتاها أكثر، شعرت بأن قلبها سيقفز من مكانه، وعاودت النظر إلى الأرض، كانا قد وصلا، ودّعته بابتسامة وهرولت مسرعة.

على مدار الأيام، كانت قصة الحب التي بدأت بنظرة، قد اكتمل نسيجها، ولم يعد أحدهما يتصور حياته دون الآخر، لكنها كانت تستشعر أن هناك شيئًا دومًا يشغله، سألته مرة لكنه لم يجب، واحترمت هي خصوصياته، فاجأها بسؤال عن ردة فعلها إذا حدث له مكروه، أسرعت تضع يدها على فمه قبل أن يكمل، لثم يدها وهو يبتسم، سحبتها بسرعة وهي تحاول أن تُظهر له غضبها، استفسرت عن سبب سؤاله، تردد قبل أن يبوح لها، يعلم أنه لا

يستطيع أن يخفي عليها، فهي أصبحت روحه التي لا يستطيع أن يخفي عليها حتى عدد أنفاسه، تجهّم وجهها حين أخبرها بأنه عضو في جماعة لمناهضة الاحتلال، نظر إليها في تعجب، شعرت بنظراته تلومها وهو يعرف قصة أخيها ورغبتها دومًا في أن تثأر له، تهدّج صوتها وهي تطلب منه أن تكون برفقته، إذا ماتا، ماتا سويًا، وإذا كُتبت لهما السلامة، تكون قد شفت غليلها ممن قتلوا أخاها، رفض طلبها متعللاً بسرية المجموعة وعدم رغبتهم في ضم عناصر جدد، خاصة إذا كانت عناصر نسائية، غضبت وطلبت أن يوصلها إلى البيت.

مرت عدة أيام لم تخرج من بيتها، شعر بقلق شديد، وشعرت هي بأنها لا تستطيع أن تصمد أكثر على عدم رؤيته، لكنها قاومت، دق الباب، أسرعت تفتح، كان هو ومعه أمه، ارتبكت، لم تعرف ماذا تقول، نادت أمها، بعد تعارف سريع اختصر المسافات بطلبها للزواج، شعرت بسعادة تغمرها، قامت تحث الخطى خجلاً وهي تنظر للأرض، باركت أمها هذه الخطبة، وقد لمحت حب ابنتها المتمكن من قلب الشاب الذي يجلس أمامها، قبل أن يغادر هو وأمه، كانا قد اتفقا على كل ما يخص حفل العُرس، وحددا موعده مع أول أيام العيد بعد أن ينتهي شهر رمضان، نادتها أمها كي

تودعهما ، شعر ببرودة يدها التي سحبتها من بين يديه بسرعة وهي تنظر بطرف عينيها إلى أمها.

في صباح ذاك اليوم، كانت الشمس تشع برقة وكأنها هي الأخرى تشاركهم فرحة قدوم رمضان ، لم يكن يكدر صفو الحياة سوى ازدياد عدد جنود الاحتلال؛ كعادتهم كلما أطل الشهر الكريم ، كانت تشعر بسعادة وهي تعلم أنه سيأتي ليتناول الفطور معهم، بعدما غاب عنها أيامًا، بسبب العمل خارج القدس، وكانت تعد العدة لترافقه للصلاة في المسجد الأقصى؛ كما كانت عادتها قبل أن يُستشهد أخوها.

حين اقترب موعد الإفطار ، رقص قلبها فرحًا وهي تسمع دقات الباب، تبدلت ملامح وجهها وهي ترى أمه واقفة بالباب، أدخلتها والقلق يكاد يفترس قسماتها، همست العجوز باكية: لقد قبضوا عليه ، لكنها ضمتها وهي تطمئنها بأنه سيعود كما هي عادته ، وحاولت أن تتصنع ابتسامة وهي تقول: إنه فقط يريد أن يعرف قدر حبه في قلوبنا. رُفع الطعام كما وضع، لم يمسّه أحد.

حين غادرتهم العجوز ، أغلقت على نفسها باب حجرتها ، احتضنت دميتها وبكت، حتى سمعت الأذان، هدّأت نفسها قليلا،

كفكفت دمعها، توضأت وحثت خطاها إلى المسجد الأقصى الذي لم يكن بعيدا من بيتها.

في صباح اليوم التالي، شعرت ببعض الإعياء من طول صلاتها وكثرة دعائها في ليلتها السابقة، كانت قد اعتادت البقاء في البيت، لكثرة إغلاق الجامعة؛ بسبب المظاهرات ضد قوات الاحتلال، أطلت من نافذة البيت، بعدما سمعت صوت إطلاق أعيرة نارية، صدمها مشهد الدم وسقوط القتلى؛ رغم اعتيادها تلك المواجهات إلا أنها لم تكن قريبة لهذا الحد، تفجّر غضبها ألَمًا ودموعًا، شعرت أنها مكبلة، ارتمت على سريرها وهي تصرخ بلا وعى، أتت أمها مسرعة، احتضنتها وهي تربت ظهرها، احتوتهما ظلمة المهانة ومرارة الظلم، تماسكت قليلاً وشريط الحزن يمر أمامها بكل قسوته، كفكفت دمعها وهي تهمس لأمها: ما قيمة حياتنا يا أمي؟!

قبل انقضاء الشهر بعدة أيام، وكعادة الصهاينة، أُفرج عن بعض المعتقلين، وجدته يدق بابهم منهكًا، احتضنته بعينيها، ابتسم مستأذنًا كي يطمئن أمه، التفت إليها طالبًا أن تعد له الإفطار بيديها، مكثت باقي اليوم تحاول أن تعد كل ما وقع تحت يديها من طعام، لقد عاد، وعادت معه رغبتها في العيش بعد أن كانت قد خاصمت الحياة، حين جلسوا لتناول الإفطار مكثت تنظر إليه،

والفرحة تتراقص بعينيها، قسوة السجن لم تنل من شموخه، تعشق تلك النظرة المتحدية في عينيه ، لم يتحادثا طويلاً لكن أعينهما قالت الكثير، أستأذن مغادرًا هو وأمه، كان بحاجة لأن يستريح.

مضت الأيام المتبقية من الشهر الكريم هادئة، وكأن الحياة أرادت أن تعوضهما بعضا من قسوتها ، اقترب العيد واقترب معه يوم زفافهما ، شظف العيش كان يجبرهما وغيرهما على الاكتفاء بأبسط مظاهر الاحتفال ، وأقل تجهيزات العُرْس ، كان يحاول أن يجتهد في عمله؛ ليوفر لعروسه حياة كريمة ولو في أيام زواجهما الأولى، بالكاد كان يلحق بموعد الإفطار، ثم يصطحبها لأداء صلاة القيام بالمسجد الأقصى ، وكانت لا تنسى كل ليلة أن تذكره أن يجتهد في الدعاء؛ كي يجمعهما الله برحمته وفضله في بيت الزوجية، كان ينظر إليها بحب ويبتسم وهو يؤكد لها أن هذا دعاؤه دومًا.

في ليلة ختم القرآن ، عمّت المظاهرات محيط الأقصى ، فقد منع جنود الاحتلال الصلاة في المسجد وأحاطوه بمدرعاتهم ودباباتهم، حاولت الجموع اختراق الحواجز، وبدأ الجنود بإطلاق الرصاص، تفرّقت الجموع ، عادت معه كسيرة النفس دموعها تبلل وجنتيها ، نظر إليها بأسى وهو يتمتم : سيدفعون الثمن . حين دخلت حجرتهااحتضنت دميتها وجلست تفكر حتى غفت على سريرها.

في الصباح، وجدته يدق الباب، أتى ليودعها ويخبرها بأنه سيعود قبل الزفاف بيوم، فلديه عمل خارج البلدة، ودّعته بابتسامة ودعاء، أمضت يومها وهاجسها ألا تستطيع الصلاة في المسجد اليوم أيضًا.

بعد أن أفطرت ودعت أمها واتجهت لتصطحب إحدى جارتها، تكرر المشهد، لكن المظاهرات كانت أعنف، والاشتباكات بين الجنود والمتظاهرين كانت مباشرة، تساقط القتلى من الطرفين، وتناثرت الأسلحة، وجدت أمامها بندقية آلية سقطت من أحد الجنود الذي فر هلعًا، التقطتها وهي تتلفت، أخفتها بين طيات ملابسها وأقلت عائدة وهي ترتجف، حين وصلت لحجرتها جلست تتفحصها، كانت تعرف القليل عن الأسلحة، علّمها أخوها قبل استشهاده، كان يداعبها قائلاً: ربما بعد أن نحرر القدس سنحتاج إليكن في الجيش. فكرت أن تهدي حبيبها تلك البندقية، سيفرح بها كثيرًا، أخفتها تحت سريرها بجوار دميتها.

في صباح اليوم التالي، داهم جنود الاحتلال المنازل وقبضوا على كل رجل وشاب وفتشوا البيوت، حين دخلوا عليهن البيت، صاحت أمها فيهم ولعنتهم، لطمها كبيرهم، هرولت إلى أمها تمسح عن وجهها الدم، نظر إليهن بازدراء وخرج وهو يتمتم، حمدت الله أنهم لم يفتشوا البيت بعدما تأكدوا من خلوه من

الرجال، همست أمها: لماذا لم تتركيهم يقتلونني؟ ما قيمة حياة الذل تلك التي نحياها؟ قبّلت رأس أمها ونظرة تحدٍ ارتسمت بعينيها، كانت قد عزمت على شيء كتمته في صدرها.

باتت ليلتها مستيقظة، لم يغمض لها جفن، بعد أن تناولت سحورها وصلّت، اتجهت إلى غرفتها، سحبت البندقية بهدوء من تحت سريرها، تفحّصتها مليًا، التقطت دميتها ضمتها لصدرها، انتظرت حتى بزوغ أول ضياء للصبح، تأكدت أن أمها نائمة، تسللت وهي تخفي تحت ملابسها البندقية، وبيدها الأخرى أمسكت دميتها.

حين بدأت رحلتها التي كانت تشعر أنها الأخيرة، تراءى لها طيف حبيبها مبتسمًا، سرت في جسدها رعشة، كانت الشوارع هادئة تكاد تكون خالية من المارة، فاليوم آخر أيام شهر رمضان، وكثيرون لم يذهبوا إلى أعمالهم. حين اقتربت من محيط المسجد، لاح لها تجمع لثلة من جنودهم بوجوههم البغيضة، كانوا متحلقين يتناولون فطورهم، اقتربت في خفة، كان قلبها يدق بعنف، واختلاط أصوات القتلى بالأمس مع صوت دفوف العُرس التي حلمت بها دومًا؛ يطن برأسها، سحبت البندقية من بين طيات ملابسها، بدأت في أطلاق الرصاص، هلع الجنود بعد أن سقط

منهم ثلاثة قتلى، هرولوا وهم يطلقون نيران أسلحتهم في كل اتجاه ، كانت تلاحقهم ببندقيتها ، تمكن أحدهم من إصابتها ، سقطت على الأرض، لكنها كانت لا تزال تطلق نيران بندقيتها، عاجلها آخر بوابل من الرصاص...

اقترب منها الجنود بحذر، كانت بلا حراك، ودميتها بجوارها غارقة في الدم، وابتسامة وضّاءة تنير وجهها.

قهوة عصفور

حين سمع الحاج بركات بنية المعلم "بكر عصفور"، هزّ رأسه في غضب، ودقّ بعصاه على الأرض عدة دقات، وهو يترحّم على روح الحاج عصفور، أشار بيده لأحد الصبية كي يحضر له بكر، لم تمض لحظات إلا وقد حضر بكر بصوته الجهوري وعبارته التي لا تفارقها البسمة، سلّم على سيد المعلمين؛ كما كان يحلو له مناداة الحاج بركات؛ فرك يديه وهو ينظر إليه منصتًا، نظر إليه الحاج بركات وقد ظهر الغضب على محياه، همس بكر: خيرًا يا سيد المعلمين، رد بركات وهو يحاول أن يكبت غضبه: ومن أين سيأتي الخير؟ هل صحيح ما سمعته من أنك ستحضر للقهوة بنتًا للعمل؟ أومأ بكر برأسه وهو يهم بالدفاع عن قراره، لم يمهله الحاج بركات أردف: وهل الحاج عصفور رحمة الله عليه كان سيرضى بهذا؟ أطرق بكر للأرض ولم يرد.

كان قد وقر في عقل بكر أنه لكي تتحول قهوة عصفور إلى كافيتريا سياحية، تدر عليه الكثير، فلابد من إحداث تغيرات جذرية؛ كان أبوه يعارضه في تنفيذها؛ وكانت أولى تلك الخطوات؛

بعد إضافة أنشطة أخرى غير المشروبات العادية والشيشة كالحلويات والمثلجات والعصائر الطازجة؛ هو أن يضيف روحًا للمكان وشكلا أنيقًا، وقد رأى أن هذا لن يتأتى إلا بتعيين فتيات للعمل في الأقسام الجديدة وتقديم الحلويات والآيس كريم، لكنه وبعد حديثه مع الحاج بركات، تريّث، فهو لا يعلم كيف ستسير الأمور، وهو بعد أن ارتاح للفكرة، لم يجد مَن توافق على العمل في الفترة المسائية، التي تمتد إلى الفجر فاكتفى بـ"ياسمين" تلك الفتاة الهادئة التي شعر بجديتها من أول يوم تقدّمت فيه للعمل.

لم تكن ياسمين تسمح لأحد بتجاوز حدودٍ كانت قد وضعتها قبل أن تستلم عملها، سواء من زبائن القهوة التي تحولت على يد بكر إلى كافيتريا، تقدم الآيس كريم، والحلويات الإفرنجية، وأطباق الحلوى الشرقية، بجانب الشيشة والشاي والقهوة والسحلب، أو حتى من زملائها، وعلى رأسهم بكر الذي كان كثيرًا ما يطيل النظر إليها، وهو يقارن بينها وبين أم عياله، لكنها سرعان ما كانت تسرع حاملة إليه قهوته، وهي تنظر إليه نظرة كانت تجعله يرتبك وهو يداري خجله، وكأنه تلميذ ضُبط وهو يغش، وكانت حركة يده التي تمتد لملابسه لهندمتها دون داعٍ، تشي بمكنون أفكاره، فيقوم من فوره وهو يصيح بصوته الجهوري مناديًا على أحد صبيان القهوة ليوبخه بلا سبب.

كانت أشهُر الصيف على الأبواب، وهي أشهُر تكتظ فيها القهوة بمرتاديها حتى ساعات الصباح الأولى، ويكثر فيها الرزق والعمل، ولعلم بكر بأن ياسمين لن توافق على العمل لوقت متأخر، فقد وافق على تعيين سعد ابن أخت الحاج بركات كبير المنطقة؛ في الكافيتريا، بمجرد أن انتهى من امتحانات الكلية، ليأخذ مكان ياسمين في العمل المسائي، وسرعان ما أثبت سعد جدارته بالعمل وجديته، فكسب ثقة المعلم بكر واحترام زملائه وقلب ياسمين، التي كانت تكتشف كل يوم جانبًا من جوانب الجمال والرجولة التي يتمتع بها، لكنها كانت متحفظة في إبداء مشاعرها، حريصة في تعاملها معه، هو أيضًا لفت انتباهه جديتها وأخلاقها قبل أن يجذبه جمالها الهادئ، لكنه تريّث في مصارحتها بمشاعره.

كانت سعادة بكر لا توصف وهو يرى حلمه ينمو وإيرادات الكافيتريا تتضاعف، والزبائن يتزايدون بعدما اشتُهر المكان بما كان يقدّمه من حلويات أصبحت تعد في ملحق خلف القهوة ويشرف عليها بكر بنفسه، أو ياسمين في حال عدم تواجده، لم يكن لطموح بكر حد، كان يحلم بافتتاح أفرع للكافيتريا.

كانت أشهُر الصيف قد قاربت على الانتهاء، فأستأذن سعد منه أن يجد بديلا له؛ لأنه سيعود لكليته، فهو في السنة النهائية، لمح سعد

نظرة حزن بعين ياسمين، فقرر أن يتأكد من مشاعرها قبل أن يرحل عن المكان، انتحى بها جانبًا، وقبل أن يتفوه بكلمة، أخبرته نظراتها عن قدر الحب الذي تُكنّه له، تعانقت نظراتهما للحظات قبل أن تهمس: سأنتظرك، مد يده إليها ليودعها، أطبق على يديها بيديه، سحبتها في خجل وهي تهم بالعودة لمكانها في العمل، تراقصت بعينيها دموع الفرح.

لم تحمل الأيام التالية جديدًا سوى أن الإقبال قد قلّ بانتهاء موسم الصيف، مما حدا ببكر إلى عدم الاستعانة بأحد مكان سعد، أما سعد فقد واظب على الحضور أسبوعيًا، لكن هذه المرة كضيف يجالس بكر، ويختلس من آن لآخر النظر إلى ياسمين، في غفلة من بكر، حاول مرة أن يدعوها للخروج معه، لكن نظرة عتاب واحدة منهاجعلته لا يفكر في تكرار طلبه.

أما بكر فقد كان ذهنه مشغولاً بقرار كان قد تراجع عنه عدة مرات، لكنه استجمع شجاعته في ليلة هادئة، لم يكن هناك الكثير من الزبائن وانتحى في أحد الأركان على طاولة منفردة بعدما أرسل في طلب ياسمين، حين حضرت، أشار لها أن تجلس، حين انتهى من كلامه، كانت مرتبكة وهي لا تدري ماذا تقول له، لم تتصور يومًا أنه سيطلب يدها وهي التي تعتبره والدًا لها؛ لفارق

السن بينهما ولعلمها بأنه متزوج؛ سعل مرتين قبل ينقذها بقوله: فكري، أنا لا أريد ردك الآن، لكن لتعلمي أنني سأجعلك أسعد إنسانة في الوجود.. لملمت خجلها وحيرتها وقامت صامتة.

مرت ثلاثة أيام، لم تستطع خلالها أن تحضر للعمل، لكن تلك الأيام كانت كفيلة بإيصال ردها إلى بكر، فأرسل لها كي تحضر، لم يناقشها في الموضوع، بل تبسّم بأسى وهو يسألها إن كانت تود الاستمرار في عملها أم أنها قد وجدت عملاً آخر، لم ترد، فقام وربت كتفها وهو يهمس: اعملي بجد كما كنتِ دوما وتناسي ما حدث، نظرت إلى الأرض ولم تنطق.

أصبح بكر لا يحضر كثيرًا كما كان، وتحملت ياسمين مسؤولية الكافيتريا كاملة، وأصبحت تتابع كل شيء بنفسها، دون كلل أو تذمر، أما اليوم الذي كان يحضر فيه سعد، فقد كان عيدًا، وكان النشاط يدب في أوصالها، فتتنقل من مكان لآخر بخفة وكأنها فراشة. كل من بالكافيتريا كان سعيدًا بها ويساندها، ولم يكن أحد ليرفض لها طلبًا، حين طلبت أن تجرب صنع صنف جديد من الحلويات، أفسح الجميع لها المكان، وقفت تعمل بسعادة، وهي تجهل ما يخفيه لها القدر، شبّت النار في المكان، أسرع الكل بالخروج، تعثرت ووقعت، طالت النار وجهها.

حين أفاقت في المستشفى، لمحت أمها بجوارها، اغرورقت عيناها بالدموع وهي تستشعر الألم، حين مدت يدها لوجهها المغطى بكامله، تحرّكت عيناها ببطء، لمحت سعد وبكر جالسين، كان الحزن يغطي قسمات وجهيهما، ربتت أمها يدها وهي تتمتم بالدعاء، أما هي فقد كانت عاجزة عن الكلام، والضمادات التي لم تظهر من الوجه سوى العينين، حين قام، ودعها الاثنان وخرجا، أنصتت لصوت دعاء أمها قبل أن تغيب عن الوعي.

قبل اكتمال الشهر، كانت قد تعافت، الطبيب أخبرها بحاجتها لعملية تجميل بعد أن تشوّه جانب وجهها، اعتراها الحزن وهي تعلم أنها غير قادرة على تكاليف العملية، وهي اليتيمة التي ترعى أمها وبالكاد يكفيهم الراتب الذي كانت تتقاضاه، أما سعد فقد شعر بالعجز وهو يرى حاجتها ولا يقدر على مساعدتها.

كانت ياسمين تستشعر أنها فقدت وظيفتها فكيف ستواصل عملها بهذا الوجه، وهذا كان يزيد من حزنها، لكنها فوجئت بالطبيب يطلب منها الاستعداد لعمل العملية، لم تكد تصدق، فأجهشت بالبكاء، قرأ في وجهها السؤال، تبسم الطبيب وهو يقول: ليس مهمًا من دفع، المهم أن تعودي لنا بالسلامة. حين لمح إصرارها، قال في اقتضاب: بكر، لقد تكفل بكل شيء، دمعت عيناها وأطرقت للأرض.

مرت الأيام ثقيلة، وهي تنتظر عودة وجهها لما كان عليه، تعددت العمليات وطالت ليالي الألم والانتظار، لم يكن يخففها سوى إطلالة سعد؛ والتي كانت تحدث على أوقات متباعدة، بررها بانشغاله بالامتحانات، لكن ما كانت تعجب منه، ولم تجرؤ أن تسأل سعد عنه، هو انقطاع بكر عن زيارتها، كانت مشاعرها ممزقة بين حبها لسعد، ومشاعر الشفقة والعرفان لبكر، عمّق هذا الشعور ابتعاد سعد قليلاً وانشغاله عنها، لكن الأمل في شفائها وعودة وجهها كما كان؛ جعلها تصبر وتتحمل، وكم كانت دهشتها حين كشف الطبيب عن وجهها للمرة الأخيرة بعد أن أنهى كل عمله، لقد أصبحت أجمل مما كانت قبل تعرضها للحادث، بكت وهي تبتهل بالدعاء شكرًا لله هي وأمها، التي كاد قلبها أن يطير فرحًا بما صارت عليه ابنتها.

وقبل أن تبدأ في حزم حقيبتها لترحل بعد أن أمضت شهورًا في المستشفى، وجدت بكر أمامها مصطحبًا شيخًا وقورًا؛ ظنته أباه أو عمه؛ اقتربت منه وهي لا تدري بأي كلمات تستطيع أن تشكره، لكنه أشار إلى الشيخ وهو يهمس: اشكري عمك الحاج بركات، هو من قام بدفع كل التكاليف، هوت على يده لتقبلها، امتدت يده برفق لترفع وجهها وابتسم وهو يقول: هل لي أن أطلب

منك شيئا؟ ردت بسرعة: بل أنت تأمر يا حاج، قال: هل تقبلي الزواج من ابن أختي سعد؟ احمر وجهها خجلاً وهي تداري فرحة شملت كل جسدها، ونظرت إلى الأرض، رفع بركات يده وهو يصيح: إذن لنقرأ الفاتحة.

كان سعد منشغلاً بامتحاناته،لكنه كان يعلم بترتيبات خاله بركات الذي وعده أن يحقق له رغبته شريطة أن يهتم هو بمستقبله.

بعد أسبوع كان لقاء الجميع في بيت ياسمين، وبعد إعلان الخطبة رسميًا، وقف بكر صائحًا وهو يقول: لن أوافق على هذا الزواج حتى تعدني يا سعد أن تكون حفلة الزواج في القهوة عندي، نظر سعد لبركات الذي أومأ موافقًا، فقام سعد إلى بكر ليحتضنه، وهو يردد:

وهل هناك أجمل من قهوة عصفور لكي أبدأ منها حياتي.

السرُّ الخفي

هاتفتني بصوت قلق: أريد أن أراك اليوم، توقفت أحرفي تعجبًا وحيرة، لم تمهلني، حددت الموعد والمكان وهي تلقي السلام مع إغلاق الخط ... أصابني بعض القلق، فلم أعهدها هكذا، وهي المبتسمة دومًا، هادئة الطباع.

حين وصلتُ، لمحتها جالسة في ركن وقد اتشحت بغطاء لشعرها ونظارة شمسية كبيرة تغطي معظم وجهها، تبسّمت وأنا أقترب منها، رمقتني بنظرة غاضبة، زمّت شفتيها قبل أن تبدأ في حديثها الذي شعرت بأن أحرفه تكاد تتقافز من بين شفتيها الغاضبتين، كنت أستمع إلى كلماتها وقد أصابتني الدهشة والذهول، حين أتمت حكايتها، نظرتْ إليّ في بلاهة وهي تسألني عن رأيي، اعتلت وجهي حيرة وأنا أشعر بعجزي عن الرد.

حين غادرتني كانت أفكاري مشوشة ودهشتي المختلطة بحيرة تلفني، جلست أسترجع الحكاية وأنا أحاول أن أربط بين ما أعرفه عن زوجها صديق طفولتي، وما حكته هي عنه الآن!.

هو شخصية هادئة عقلانية، يتسم بصراحته المفرطة التي توقعه أحيانًا في الحرج، لا يجامل، لكنه ودود، يبذل قصارى جهده ليساعد صديقاً أو يعين محتاجًا، برغم أنه نشأ في أسرة فقيرة إلا أنه استطاع أن يبني ذاته، أكمل تعليمه الجامعي، وبمساعدة بسيطة من أخيه وخطيبته؛ التي أصبحت فيما بعد زوجته؛ استطاع أن يبني صرحًا، أصبح مصنعه للملابس أحد أكبر المصانع في الوطن، كان من القلائل الذين لم يفكروا في مغادرة الوطن لبناء مستقبلهم، كان يردد: من أراد أن يبني نفسه ويحقق النجاح فعزيمته هي الأهم وليس المكان، كان في نظري مثالا يُحتذى، وكنت أحسده على قوة عزيمته، وعلى قدره الذي وضع في طريقة تلك المرأة، كانت تعشقه وتؤمن به أيما إيمان.

حين انتهت دراستها للطب، تزوجا، كان قد بدأ في تنفيذ مشروعه منذ أشهر قليلة، تركت حلمها الذي عاشته بأن تصبح طبيبة، ووقفت بجواره، كانا يعملان سويًا أكثر من خمس عشرة ساعة، وكانت سعيدة بنجاحه، تهاتفني كل فترة وصوتها يرقص فرحًا لتبشرني بقفزة جديدة على طريق نجاح زوجها، وتعتذر عنه؛ لأنه يشعر بتقصيره في التواصل معي، لم تفكر يومًا في تضحيتها بعملها ومستقبلها كطبيبة من أجله، كانت تعتبر أن هذا واجبها، وأنه

أقل ما تقدمه لحبيبها وشريك عمرها الذي ارتضته من بين كثيرين، وخفق له قلبها وحده، كنت أستشعرها راهبة في محراب حبه، حين كنت أحادثه؛ كنت أستشعر حبه لها، مع قدر من الالتزام الذي عرف عنه وتميز به، وكان هذا يسعدني ويطمئنني على مستقبل علاقة اثنين من أقرب أصدقائي.

لكل ما سبق، كان حديثها معي بما حمله من مفاجأة، ليس مما فعله هو فقط، وإنما من ردة فعلها هي أيضا، والتي لم أكن أتوقعها على الإطلاق، حتى تأكيدها لي بألا أتحدّث مع زوجتي أو زوجها بشأن ما روته لي، كان محل دهشتي، وكنت في حيرة من أمري وأنا أتساءل إذا كانت لا ترغب في تدخلي، فلما قصدتني لتحكي لي، ولما أصرت على إخباري بكل تلك التفاصيل، قد أفهم تخوفها من إخباري لزوجتي وهي تعرف مدى غيرتها واندفاعها، أما زوجها فلِمَ؟.

بقيت يومي أتساءل وأحلل الموقف برمته، لكني لم أصل لشيء، فكرت أن أتصل بصديقي وأستفسر منه، لكني خشيت أن أتسبب في مشكلة بينهما، وأخيرًا اهتديت إلى فكرة، لم لا أتصل بها، ومن خلال حديثي معها، يمكنني فهم الأمور بشكل أوضح؟

تنهدتْ حين سمعت صوتي، ثم همستْ: ما رأيك؟ رددتُ بثقة: أعتقد أنه مخطئ ولولا أنكِ طلبتِ مني عدم التحدث معه، لكان لي موقف آخر، ثم أردفتُ: لكن أنتِ أخبريني ماذا ستفعلين؟ زفرتْ في أسى وهي ترد: لا شيء، ثم صمتت قليلاً وقد تملكني العجب وألجمتني المفاجأة، ثم أردفتْ: إنني أحبه وأعلم حق العلم أنه يعشقني، وما فعله ليس إلا مجرد نزوة، وأصدقك القول إنها ليست المرة الأولى، فقد فعلها مرات، ما ألمني هذه المرة أنه فعلها مع إحدى صديقاتي، وفي بيتي، حين دعاها للغداء بعدما سافرتُ أنا لإنهاء إحدى الصفقات، وجدتهما يضحكان وفي غاية السعادة، المصيبة أنه لم يرتبك أو يخجل، قام إليّ وقبلني وهو يكمل حديثه مع صديقتي التي ارتبكت قليلاً، ثم غادرتنا، أما هو فلم يتحدث في الموضوع، بل بدأ بسؤالي عن العمل، ثم دعاني للخروج وتناول العشاء!

قاطعتها قائلاً: ربما سلبيتك وعدم شعوره بغيرتك هو ما يدفعه لتكرار هذا، صمتتْ برهة وقد لاقى كلامي صدى لديها، لكنها ضحكت وهي تذكرني بغيرة زوجتي الجنونية وما تسببه تلك الغيرة من مشاكل جمّة بيننا، ثم أردفتْ: أتظن ذلك؟ قلتُ: من خلال معرفتي به وبك أنا على يقين من أن هذا هو السبب

الوحيد، ربما يريد أن يرى غيرتك عليه. تراقص صوتها فرحًا وهي تشكرني وتودعني.

مرّ شهر، لم أسمع عنهما أي شيء، وفجأة وجدته يتصل بي ليدعوني وزوجتي إلى العشاء، قبلتُ الدعوة شاكرًا، في المساء كنت على موعدي معهما، لمحت السعادة تتقافز من أعينهما، أما زوجتي فلم تكن تشعر براحة، خاصة وهي ترى اهتمام زوجة صديقي بنا، حين قامت لإحضار الطعام، مالت على أذني وهي تهمس: ماذا بها اليوم؟ لم أرد وأنا أدرى بزوجتي وغيرتها، أومأتُ إليها أن تقوم لتساعدها وتسألها، تبسّمتْ وهي تغادرنا أنا وصديقي الذي افتر ثغره عن ابتسامة، وهو يقول: لقد تغيرتْ كثيرًا، زاد اهتمامها بي وأصبحت تغار عليّ حتى من زملائي، أومأتُ برأسي مبتسمًا، ولسان حالي ينعي حظه العاثر وما ينتظره.

بعد أن انتهينا من طعامنا، قام لغسل يديه، نظرتْ إليّ نظرة ود وعرفان، جعلت زوجتي تسأل بعصبية: ما بها اليوم، نظراتها إليك مختلفة؟ تصنعتُ الهدوء وأنا أعرف غيرة زوجتي، ورسمت على وجهي نظرة تعجب ولا مبالاة. حين اجتمع شملنا من جديد، اعتدلت زوجتي في جلستها وبدأت تتحدث، لم تكن كعادتها، فقد بدأت توجه حديثها إلى صديقي وتناقشه وتتصنع الضحك بين

جملة وأخرى، داريت ابتسامتي وأنا الذي يحفظها عن ظهر قلب، فقد أرادت أن ترد الصاع صاعين لزوجة صديقي وتشعل فيها نار الغيرة التي أحستها حين شعرت بنظراتها لي، وهي لا تعلم سبب تلك النظرات، لم تغضب زوجة صديقي، انتهت السهرة.

في طريق عودتنا، كان هناك الكثير من الأسئلة تنتظرني، كنت أرد باقتضاب جعلها تنفجر غاضبة، لكني كنت أحاول أن أحفظ السر الذي ائتمنتني عليه زوجة صديقي، تحملت غضبها وتلميحاتها، وقد زاد هدوئي وردودي عليها من ثورتها، ظلت عدة أيام وهي لا تحدثني، لكني وجدتها وبدون مقدمات تطلب مني أن أقوم بدعوة صديقي وزوجته على العشاء، نظرت إليها في عجب، لكني لم أستطع أن أثنيها عن رأيها، كنت أعرف إن وراء تلك الدعوة الكثير، فكرت أن أتحدث مع زوجة صديقي من العمل لأطلب منها الحرص، لكني تراجعت، ربما راقني ما يمكن أن يحدث بينهما، لكن وعلى عكس ما توقعت، مرّت الأمسية على أحسن ما يكون وقد راقني ذاك التقارب بين المرأتين، فرغم طول مدة صداقتنا، لم يحدث أن رأيتهما هكذا. صديقي لم يعر الأمر اهتماما كبيرًا، أما أنا فقد فضلت المراقبة عن بعد؛ لأعرف السبب الحقيقي وراء هذا التقارب المفاجئ، خاصة وأنا أرى عُرَى المودة قد توطدت بينهما

على مرّ الأيام، وأصبحتا تكثران من الزيارات بينهما، والتسوق سويًا، وقد بدأت أشعر بتغير زوجتي للأفضل، فقد بدت أكثر هدوءًا وأقل غيرة، واختفت عصبيتها الزائدة.

وعلى الجانب الآخر بدأ زوج صديقتي يحدثني عن زيادة اهتمام زوجته به، وغيرتها عليه، ورغم تحفظه وهدوئه الدائمين، إلا أن السعادة بدت عليه وهو يحدثني عن التغيرات التي طرأت على حياته مع زوجته وحرصها على إسعاده، وزيادة تعلقه بها وحبه لها، بعدما تكاملت كل صفاتها التي كان يحلم بها.

أما أنا فقد انشغلت بعد فترة عن التفكير في أسباب التغيير، وتفاصيل تلك النقلة في العلاقة بينهما، وبدأت أستمتع بما وصلت إليه العلاقة بيني وبين زوجتي، وأعايش حالة العشق التي أعادتني إلى فترة الخطبة.

أما ما حدث في تلك الليلة وما دار بينهما من حديث، فقد بقي لهذه اللحظة سرًّا يتهربان من البوح به، كلما حاول أحدنا السؤال، ويستبدلن بالإجابة ضحكةً أنثويةً ماكرة!

ذات النملة

جلس على حافة النهر ، مسندًا ظهره إلى شجرة الجميز العتيقة ، عيناه تراقبان تلك النملة ، رحلتها عبر جزع الشجرة الملتف لم تتضح، تسرع صاعدة، ثم لا تلبث أن تُغيّر وجهتها، شعر وكأنها تقوم بعملية تمويه، لم يعرف وجهتها بالضبط، تسرع ثم تبطئ.

ظل على حاله يراقبها ، مالت الشمس للمغيب ، وهو جالس القرفصاء ورأسه بين ركبتيه، غلبه النعاس، أفاق على لدغة برقبته، صرخ وهو يتحسس مكان الألم، شعر بها تسقط حين لامست يده رقبته، ركض عائدًا إلى البيت، وعيناه دامعتان من شدة الألم.

صرخت أمه حين لمحته ، قامت لتحتضنه ، أجلسته في منتصف الحجرة ، ظلت تتمم بكلام مبهم وهي تدور حوله وحلقات الدخان المنبعث من المبخرة التي أحضرتها تكاد تخنقه. في اليوم التالي لم تسمح له بالخروج للمدرسة؛ عيونهم هي التي أصابتك بما أنت فيه ؛ لم يكن يلتفت لكلامها أو يفهم معناه لكنه كان سعيدًا لأنه لن يذهب للمدرسة، وسيريح نفسه من عصا أستاذ اللغة العربية.

خوفها المرضي عليه وإيمانها المطلق بالحسد وعيون الناس التي لا ترحم، انتقلا إليه مع مرور الأيام، كان كلما مرض، يُسرع إلى الرقية سواء أكان مرضه بسبب فيروس أصابه، أو بسبب العين، وحين لا يتم الشفاء يرجع الأمر برمته إلى قوة عين الحاسد وشدة شره.

مرت أيامه بين خوف أمه المرضي عليه من العين، وتفوّقه وعبقريته التي بدأت تتضح معالمها، وهو يحصد جوائز التفوق، وتنشر صورته في الصحف كأحد النابغين في بلدته، بِنْيتُه التي لم تكن قوية بطبيعتها، أرجعتها أمه لعيون الحاسدين، أما هو فقد كان شغله الشاغل: كتبه ودراسته، وحلمه بأن يصبح طبيبًا، لذا لم تكن شهيته لغير العلم تميل، وكان لهذا أبلغ الأثر على ضعف بنيته الجسدية وصحته، وتعرضه للمرض في كثير من الأحوال، لكن لم يمنعه هذا من التفوق والالتحاق بكلية الطب كما كان يحلم.

حين عاد أول مرة من الكلية، استقبلته كعادتها بالبخور والتعاويذ، كان مشوشًا مما رأى في يومه الأول، شباب وفتيات يتحدثون ويتصافحون ويمزحون، كانت صدمة أن يرى هذا الاختلاط والتبرج من بنات كان يفترض بهن أنهن ذاهبات لمحراب العلم وليس لأحد الأعراس، نشأته الريفية المحافظة وحديث أستاذ اللغة العربية

الذي كان إمام مسجد قريتهم في نفس الوقت؛ يرن في أذنيه، لقد صدق الشيخ، اقترب يوم القيامة. سمعها تُحدّث والده: الولد راجع لونه مخطوف وعيونه مزغللة، عيونهم، ربنا يستر عليه، أنا رقيته اليوم قبل ما يخرج وأول ما دخل، تبسّم وهو ينصت من حجرته لكلامها الذي يقطر حبًا؛ كما هي دومًا معه.

كان تكيّفه مع زملائه بطيئا، لكنه بدأ يتعود، دماثة خلقه واستقامته كانا السبب الرئيسي في تكوين صداقات كثيرة، وسرعان ما انقلبت صداقته بإحدى زميلاته إلى علاقة حب، تبدلت حياته إثرها بشكل كامل، لم يكن يتصور أن خفقان قلبه سيبدل حياته بتلك الصورة، أصبح يمضي معظم أوقاته بالجامعة؛ وهو الذي كان يسارع بالعودة فور انتهاء محاضراته؛ أصبح أكثر هدوءًا وأقل كلامًا، سعادته التي باتت واضحة على ملامحه، لم يكن يكدرها سوى أسئلة أمه المتكررة عن سبب انشغال باله، وقلقها من ضعف شهيته، وسهاده الدائم. حاول مرة أن يحكي لأمه عنها، لكنه تراجع فهو يعرف حق المعرفة ولهها به، وخوفها المرضي من بنات البندر ولؤمهن.

مرت أيام سعادته سريعة، وبدأت الخلافات تدبّ بينهما، اختلاف الطباع والبيئة التي انحدرا منها؛ كان السبب في افتراقهما حاول

أن يتماسك، لكنه لم يستطع، أصيب بحالة حزن شديدة، امتنع عن الذهاب للكلية، وعبثًا حاولت أمه معرفة السبب، لكنها لم تتوقف عن إطلاق البخور في أرجاء المنزل، ومواصلة رقيه بكل ما تعلمه من رقى، كانت تمضي الليل باكية وهي تدعو الله أن يحفظه من عين الحاسدين.

أما هو، فقد بلغ به الحزن مبلغه، وضاق صدره، وأصبح لا يخرج من حجرته، يجلس ساعات محملقًا في ركن الحجرة بلا حراك، حين دخلت عليه أمه، وجدته محملقًا في زاوية الحجرة وهو يبتسم، التفتت ناحية الركن، لم ترَ شيئًا، أشار بيده في براءة وهو يهمس: أتراها ذات النملة يا أمي؟

لم تفهم قصده، أخذ يدها ووضعها فوق رقبته، تذكرت، لعله يعني تلك النملة التي لدغته قبل بضع سنين، تبسمت وهي تربت كتفه بسعادة، وصوته يداعب سمعها بعد صمته لعدة أيام، خرجت تُعدّ له الطعام، أما هو فتابع محاولات النملة للصعود من جديد.

عاد لدراسته بقوة، وقد عزم على إدراك ما فاته، كان فشل تجربته دافعًا قويًا ليحقق نجاحًا في دراسته، لقد تعلّم من تجربته جيدًا فأعطى كل وقته لدراسته.

تلاحقت الأيام سريعًا، لتظهر نتائج الامتحانات ويكون هو أول دفعته، لم يفاجأ، فقد كان اجتهاده واضحًا، أما أمه فقد أكدت عليه مرات ومرات ألا يذكر أمر تفوقه لأحد في البلدة، وهمست وهي تؤكد وصيتها له عند خروجه: يا بني كل العيون عليك، داري على شمعتك يا ولدي. كان دومًا يبتسم وهو يستشعر فيض الحب الذي تغمره به، فيكب على يدها يقبلها، وهي تتمتم بالدعاء له.

بات هدفه واضحًا، وقد وضع نصب عينيه الحصول على شهادته بتفوق يتيح له أن يصبح أستاذًا جامعيًا، وعمل على تحقيق هذا بكل جهد.

مرّت سنواته الثلاث وهو يحقق ما تمناه من تفوق، جعله محط أنظار زملائه، والكل يرشحه دومًا ليكون الأول، في بلدته بدأ البسطاء من الأهالي يلجأون إلى الدكتور؛ كما كان الكل يناديه؛ رغم أنه لا زال يدرس، ولم يكن ليرد أحدًا، مما جعل الجميع يلتف حوله بحب، ويتمنى له الخير، لكن أمه لم تقطع عادتها في الرقية اليومية له، وكان هو يتقبل هذا الاهتمام منها بسعادة ورضا.

قبل امتحاناته بعدة أيام، أصابته حمى شديدة، استمرت معه لفترة، ومنعته من خوض الامتحان، وأصابت أمه بالحزن الشديد، جزعًا

عليه، وحزنًا على ضياع جهد عام من المذاكرة والسهر، لكنها كفكفت دمعها حين رأته يتعافى، وظلت ترقيه وهي ساهرة بجواره وتطمئنه بأن الله سيعوضه خيرًا، لكنه كان يشعر بحزن دفين وهو يرى حلمه وقد تباعد، كانت يد أمه تمسح على رأسه حين صرخ متألما، رفع يده إلى رقبته، حين تفحصت رقبته تبسّمت وهي تربت رأسه وتهمس: إنها مجرد لدغة نملة.

في الموعد نفسه من السنة التالية، أصابته الشقيقة، أصبح ألم رأسه لا يُطاق، كلما حاول الدرس والاستعداد للامتحان، ذهب إلى الطبيب، لم ينتهِ شقاؤه، حارت أمه، أقنعته بأن يذهب معها إلى أحد المشايخ ليرقيه، لم يجد بدًا وقد آلمه رأسه بشدة، وأصبح لا ينام، لكن الألم اشتد، ولم يفلح معه أي دواء أو رقية.

كان قد بدأ يتسرب إلى نفسه الشك في إمكانية تحقيق حلمه، إنها السنة الثانية، فكر أن يترك الكلية، ربما هي عين أصابته، فما الداعي للمكابرة، لكن أليس هذا حلم أمه أيضًا، كيف سيخبرها؟ وهل إذا ترك الكلية، ستنتهي مشاكله؟ لم يعد قادرًا على التفكير!

في صبيحة اليوم التالي، وجد أمه بجواره، تبسم في أسى، ربتت صدره وهي تدعوه ليقوم من سريره ويصحبها، خرجت به من

باب الدار، أوقفته في مواجهة شجرة عتيقة، نظر إليها في تعجب، سحبته من يده جهة الشجرة، انحنت على جزع الشجرة وهي ممسكة بيده، نظر فإذا بنملة تحمل فوق ظهرها أكثر من حجمها، وتتسلق الشجرة صاعدة، سقط الحمل إلى الأرض، عادت مسرعة لتحمله، سقط ثانية، عاودت الكرة، نظرت أمه إليه بحنان، ولم تنبس ببنت شفة، تبسّم وهو يقبل جبينها ويحيطها بذراعيه.

حين عاد حاملاً شهادته، وجدها في انتظاره لترقيه، جلس هادئًا وقد بدأت تتمتم بأدعيتها ورائحة البخور تلف المكان، قبّلت رأسه في حنان وهي توصيه بأهل بلدته، قبّل يدها قبل أن يقوم ليصلي ركعتي شكر لله، رمقته بحب وهي تحضر له طعامه، حين رفع من سجوده، شعر بدبيب على رقبته، مد يده، أمسك بها، بعدما انتهى من صلاته، أفلتها من بين أصابعه على كف يده، نظر إليها في حيرة، أيطلقها أم يفركها بين أصبعيه فيقتلها؟، كانت تتحرك على كف يده في حيرة، تناهى إلى سمعه صوت أمه تناديه، وضع يده على الأرض، أسرعت هاربة، أما هو فقد شعر براحة، وهو يتجه صوب أمه ملبيًا ندائها.

بـائـع العرقسوس

حين لامست قدماه تراب الإسكندرية، شعر بأن حلمه الذي رافق صباه، قد بدأ يتحقق، كان مشدوهًا بكل ما حوله، لكن شغفه الأول كان أن يرى البحر الذي سمع عنه مرارًا، ورآه في التلفاز، لكن لم يسبق أن رآه أو صافحت نسماته وجهه، وهو الجنوبي ابن إحدى قرى الصعيد.

اتجه من فوره إلى الكورنيش، بعدما سأل أحد المارة عن الطريق إليه، كانت دقات قلبه تتلاحق وهو يحث الخطى، علامات الفرح المشوبة بلهفة؛ كانت تعانق وجهه الذي غطته الدهشة وعيناه تلتقيان بأمواج البحر، خطا خطوتين، خلع حذاءه وحمله تحت إبطه وهو يسير صوب المياه، اقترب أكثر فأكثر، وابتسامة اختلطت بدهشة اللقاء الأول؛ مازالت تراوح شفتيه، انحنى يتلمس مياهه بحذر، وبحركة لا شعورية رفع إصبعه إلى فمه، استعذب طعم الملح.

جلس على الرمال قرب الشاطئ والسعادة تشمله، لم تكن أحلام "عاطف" كبيرة، والده الذي أحبه دومًا كان يدعو له أن يديم الله

عليه نعمة الرضا. مكث عدة ساعات يحملق في الموج، شعر بالجوع تلفّت حوله، وجد أحد الصبية يحمل سبتًا كبيرًا وقد تراشقت على جوانبه كعكات، اقترب منه، أخذ واحدة بعد أن ناوله ثمنها، ابتسم والصبي يناوله ورقة بها بعض الملح، جلس يتناول الكعكة في تلذذ، حين انتهى، لمح على البعد شخصًا يتجه نحوه، حاملاً إناءً كبيرًا على بطنه، وممسكًا بيده طبقين معدنيين، يُحدث بهما جلبة منتظمة ومتكررة صائحا (شفا وخمير-عرقسوس) أشار إليه، صب له كوبًا كبيرًا، وهمَ بالجلوس ليستريح وهو يناوله إياه.

تجاذبا أطراف الحديث بعدما عرف من لكنته أنه صعيدي مثله، سأل عن أصله ومن أي العرابات هو، اطمئن لحديثه، وبشهامة أبناء الصعيد، دعاه لبيته، لكن عاطف أبى، سأله أن يدله على مكان يبيت ليلته فيه، اصطحبه إلى بنسيون صغير قريب من بيته، شكره وهو يودّعه.

في صباح اليوم التالي، خرج مبكرًا وقد عزم أن يبحث عن عمل، تلفت في كل زاوية باحثًا عن مبنى يُشيّد، كان يسمع من كل من سبقه من أبناء عمومته، أن العمل في مجال البناء متوافر وكثير، لكنه لم يستدل على أي مبنى في محيطه، كلّت قدماه وشعر بالجوع يعضه من جديد، لمح أحد المطاعم الشعبية، توجه إليه من فوره،

كانت دهشته كبيرة وهو يجد نفس الرجل جالسًا يتناول غداءه، ابتسم له وهو يدعوه لطاولته، جلس وقبل أن يهم بالكلام، صاح طالبًا له طبقًا من الطعام، باغته بسؤال عن العمل، نظر إلى الأرض، تبسم وصمت، مرّت اللحظات طويلة وهو لا يعرف ماذا يقول، حين انتهى من طعامه، همّ بأن يدفع، تبسم صاحبه، وهو يهمس: أنت ضيفي اليوم.

حمل إناءه الكبير بحرفية أدهشت عاطف، وسأله على استحياء هل هذا العمل مجز؟ رد بابتسامة عريضة: الحمد لله ويكفي أنه رزق حلال، سأله: ومنذ متى وأنت تعمل؟ تبسّم وهو يرد: منذ أن كنت في مثل عمرك، أردف: هل يروقك هذا العمل؟ لم يرد، أكمل صاحبه: يمكنك أن تعمل معي حتى تجد عملاً مناسبًا؛ إذا أحببت؛ تركه ليفكر وذهب حاملاً إناءه المعدني وأطباقه، محدثًا تلك الجلبة التي تلفت إليه أنظار الزبائن.

بات ليلته قرب الشاطئ مفكرًا، لقد بدأت نقوده التي حملها معه في رحلته تتناقص، لم يعثر على عمل بعد، وربما طالت المدة حتى يجد عملاً،ظل يُعمل فكره حتى اقتنع تمامًا بفكرة عمله مع صاحبه الجديد "جابر" بائع العرقسوس.

حين التقاه صباحا، أخرج منديله الذي يربطه بحرص على ما بقي معه من نقود، وأخرج كل ما فيه، وناوله لجابر، طالبًا منه أن يقبله منة كدفعة من ثمن الأدوات التي سيوفرها له ليشاركه العمل،حاول إعادة النقود إليه، أصر على موقفه وهو يقول: أعلم أن هذا المال ليس كافيًا، لكني سأعتبر الباقي دينًا في رقبتي، أسدده لك قريبًا.

لم تمر سوى أسابيع قليلة،كان قد أتقن خلالها فنون مهنته،وتوطدت عُرى صداقته بجابر صاحبه وشريكه.

في جلسة هادئة لهما في إحدى المقاهي، شعر جابر بألم في ظهره، قام مستندًا على ذراع عاطف، أوصله إلى منزله الذي لم يكن بعيدًا، حاول عاطف الاستئذان، لكن جابر أصر على أن يدخل لتناول الشاي، كاد أن يتعثر في خجله وهو يخطو خطواته الأولى في بيت صديقه، ألقى بالسلام وهو ينظر للأرض، جلس قبالة سرير جابر وهو يشد من عزيمته ويطمئنه بأنها شدة وستزول، لكن جابر كان يبتسم ويهز رأسه وهو يعلم أن الشيخوخة بدأت تُنشب أظافرها في جسده.

عاوده الارتباك والشعور بالخجل، و"بدرية" زوجة جابر تُقدّم له الشاي، تناوله وهو يتمتم شاكرًا، ونظره إلى الأرض، أما هي فقد ناولت زوجها الشاي ثم جلست، هتف جابر قاطعًا الصمت:

"بدرية ست جدعة يا عاطف، وهي معي على الحلوة والمرة، ورغم فرق السن بيننا، ورغم أن الله لم يرزقنا بذرية، إلا أنني لم أر منها إلا كل خير منذ تزوجتها"، هز عاطف رأسه وهو يؤمن على كلامه دون أن يرفع نظره عن الأرض.

حين انتهى من شرب الشاي، هب واقفًا وهو يستأذن في المغادرة، لم يقدر جابر على القيام، اصطحبته بدرية إلى الباب، بعدما خرج من الباب، التفت ليغلقه، وقعت عيناه عليها، امرأة في الثلاثين تتفجر أنوثة وجاذبية، على وجهها مسحة حزن مشوبة برغبة، ازدرد ريقه وهو يستدير مغادرًا في سرعة.

مرّ يومان، شعر خلالهما أنه يجب أن يطمئن على جابر رغم خجله حين انتهى من عمله؛ حمل كيسًا من الفاكهة وانطلق إلى بيت جابر استقبلته زوجته بابتسامة وضّاءة وهي في كامل زينتها، حين دلف من الباب، همست: لقد انتظرناك أمس، حث الخطى إلى حجرة جابر، حاول القيام لتحيته، لكنه أسرع إليه يسلم عليه ويحتضنه معتذرًا عن عدم تمكنه من الحضور قبلاً، سأله: ألن تذهب لطبيب تبسّم جابر وهو يجيبه: ولم؟ أنا طبيب نفسي، ألم الظهر هذا نتيجة حملي للعرقسوس، وسيزول بعد بضعة أيام، لا تقلق، أردف عاطف: إنني أحاول حل هذه المشكلة، اعتدل جابر قليلاً وهو يصيح

السمع متسائلاً: وكيف هذا؟ أكمل عاطف: لقد اتفقت مع "سوكة النجار" على صنع عربة خشبية صغيرة، تحمل عنا إناء العرقسوس وبها أيضًا مكان لشراب الخروب، كالتي رأيناها سويًا وقلتَ إنها ستكلف الكثير، لكني أحضرت الخشب لسوكة، واتفقت معه ولن تكلفنا كثيرًا، تهلل وجه جابر بالفرح وهو يتمم شاكرًا، أما بدرية، فكانت قد أعدت عشاء أحضرته وهي تخاطب زوجها: أظن أن عاطف لن يرفض أن يتناول العشاء معنا، وعبثًا حاول عاطف التنصل من دعوتها، جلس مرتبكًا وهو يحاول أن يهرب من نظراتها الجريئة نحوه، وبينه وبين نفسه، كان يتمنى سرعة شفاء زوجها؛ حتى لا يضطر للحضور إلى البيت لاحقًا.

حين تماثل جابر للشفاء، كانت إحدى العربتين قد أصبحت جاهزة ساعده عاطف على تجهيزها ودفعها ليبدأ رحلته اليومية في طلب الرزق، احتضنه جابر وهو يتمتم: لو كان لي ولد، ربما لم يكن ليقوم بما قمت أنت به من أجلي، أما عاطف فلم تمض سوى أيام قليلة، حتى استلم العربة الثانية، وبدأ في عمله الذي أصبح يدر عليه الكثير، وقد أشار عليه جابر أن يسكن شقة صغيرة، كانت قد خلت في نفس البيت الذي يقطنه، تردد عاطف في البداية، لكن إصرار جابر جعله يوافق في النهاية.

حين أحضر أغراضه القليلة من البنسيون الذي كان يقيم فيه بغرفة مشتركة ، طلب منه جابر المفتاح لتقوم زوجته بتنظيف وترتيب الشقة، حاول أن يرفض، لكن جابر أصر، شعر لأول مرة أنه قد وجد عائلة، بعدما ودع عائلته في الصعيد عند حضوره.

عند عودته من عمله مساءً ، وجد الطعام قد أُعد ، ووُضع على طاولة صغيرة، أكل بتلذذ وهو يشعر بأن آدميته التي انتقصت من يوم حضوره وسكنه بغرفة مشتركة، قد بدأت تعود إليه من جديد.

مضت الأيام ، وهو يشعر أن دعوات أمه له قد بدأت تتحقق ، وبدأ يدخر مالاً ، ويفكر في امتلاك أحد المحال ؛ لتأمين مستقبله وتحقيق حلم والده في نجاحه، ولم يلحظ خلال تفكيره في مواصلة تحقيق حلمه ؛ زيادة اهتمام بدرية به ، وبكل ما يخصه وعنايتها الفائقة بملابسه وطعامه، ربما أكثر من اهتمامها بزوجها.

كان يكد طوال اليوم ولم يكن ليهدأ لحظة واحدة ، حتى أصاب العربة عطب ، استلزم يومين لإصلاحها ، فقرر أن يستريح في البيت ، لكنه حين استيقظ ، ألجمته الدهشة وهو يرى بدرية في حجرته تبتسم في دلال، وهي تنظر له، لملم ملابسه وهو مرتبك لا يدري ما يقول ، لكنها وبلحظة واحدة كانت قد اقتربت من سريره ، ووضعت يدها فوق رأسه وهي تداعب شعره ، انتفض

واقفًا وهو يحاول الابتعاد عنها، لكنها لاحقته وحصرته في ركن الغرفة، ازدرد ريقه وهو يتمتم: لا يصح، إن جابر أخي وصديقي، زوجك. كان شيطانها قد تملكها، اقتربت منه بجسدها، حاول الإفلات، همست بصوت ملؤه الرغبة: لقد أغلقت الباب، فأين ستذهب؟ شعر بضعفه للحظة، لكنه سرعان ما استجمع قواه ودفعها عنه بعيدًا، وقعت على السرير وانكشف القميص الذي كانت ترتديه عن جسد بض مثير، أدار وجهه واتجه إلى صنبور الماء في ركن الغرفة ووضع رأسه تحته، ثم تناول كوبًا من الماء البارد ورشه عليها، تفاجأت بتصرفه، لكنه حين عاود رش الماء غضبت وصاحت متوعدة إياه، لم يلتفت إلى تهديداتها ولا سبابها له ومعايرتها له بأنه جلف، وسيظل كما هو، غادرت حجرته وغضبها لازال يتقافز من فمها وعينيها.

بعدما هدأت نفسه قليلاً، جلس واضعًا رأسه بين يديه، وأجهش بالبكاء، قام، توضأ وصلى، ثم جلس يفكر مهمومًا وهو يحسب ماذا ستقوله بدرية لزوجها، وكيف سيصدقه إن قال الحقيقة. وإن صدقه، فماذا ستكون النتيجة؟!

لم يبرح مكانه حتى أطل الليل بستره، سمع دقات على الباب، ارتجف قلبه وهو يقوم ليفتح الباب، وجد جابر قبالته، نظر إلى

الأرض وهو يدعوه للدخول ، تنهّد جابر وهو يهم بالدخول ، مرت لحظات صمت بين الرجلين ، كانت ثقيلة على كل منهما ، شعر عاطف بأن كلماته تأبى الخروج، لكنه لم يطق الصمت أكثر ، حين انتهى من حديثه وهو يقسم على صدق كل حرف نطق به ، هب جابر واقفًا وفتح ذراعيه، احتضنه، وهو يرى الصدق مختلطًا بدموعه ، ألقى برأسه فوق كتفه وهو يجهش بالبكاء ، دارى جابر دمعة ، كانت قد بدأت تطل من عينيه وهو يدفعه بيده ويصيح : البكاء لم يخلق للرجال. استدار ليخرج بعد أن ودّعه، حين أغلق الباب، شعر براحة، قام لصلاته، ثم أسلم نفسه للنوم.

في الصباح، خرج ليتسلم عربته ويسعى لرزقه، ظل فكره منشغلاً طوال اليوم بما قد يكون حدث بين جابر وزوجته. في المساء كان لقائه بجابر، أمارات الحزن التي ارتسمت على وجه جابر، أقلقته، تنهّد جابر وهو يدفن رأسه بين يديه، أما عاطف فرغم صغر سنه وقلة خبرته في الحياة، كان يشعر بحيرة صديقه، ويدرك الهم الذي أصابه، وبل لقد ظن أنه لولا معرفته بجابر، ربما لم يحدث ما حدث ولبقي بيت جابر هادئًا، وقد أصر بعدها على ترك سكنه والانتقال إلى مكان آخر ، ساعده جابر على الانتقال ، لكنه أكد عليه ألا ينقطع عنه، ورغم أن مشاعر جابر كانت تشطره بين حبه لعاطف

الذي يعتبره ابنًا له، وحبه لزوجته برغم ما فعلته، ورغم تأكده من خيانتها بعد حديثه معها ، إلا أن العِشْرَة التي كانت بينهما وصبرها ووقوفها إلى جانبه معه طوال سنوات ، كل هذا جعله عاجزًا عن اتخاذ قرار بسرعة.

مضت الأيام وهي تباعد بين الرجلين، وإن حاولا ألا تنفصم عُرى الصداقة التي جمعتهما ، حتى ذلك اليوم الذي تجمهر الناس أمام بيت جابر ، كان عاطف قد أنهى عمله ، وفي طريق عودته لمح من بعيد ألسنة اللهب تتصاعد في السماء ، هاله المشهد ، ترك العربة جانبًا وأسرع يعدو ، حين وصل كانت النار قد أتت على كامل البيت القديم ، سمع همهمات ، لقد انتحرت ، لا بل لقد أشعل فيها زوجها النار ، لكن أين جابر ؟ ربما احترق معها في الداخل ، لقد سمعنا صوت انفجار هائل، ربما لما يكونا هناك؟...

كان الجميع يدلون بدلوهم دون سابق علم ، ولم يستطع عاطف فهم شيء ، حين انفض الجمع ، لملم عاطف حاله وجر قدميه وقد استولى عليه حزن عظيم وهو لا يري لجابر أثرا.

بعد عدة أشهر من الحادثة ، لم يكد عاطف يصدق عينيه حين لمح جابر أمامه ، اندفع إليه يحتضنه ، وقد شملته السعادة ، كان جابر منهكًا ، والشيب قد عض رأسه ، وآثار الشيخوخة طغت على

الوجه الحزين ، أجلسه بجواره وهو يحاول أن يسحب من فمه الأحرف، لكن جابر كان يبتسم في ذهول ولا يرد، تابع عاطف حديثه: أين كنت؟ وماذا حدث؟ وتوقف للحظة قبل أن يكمل، وهل أنت من فعلها كما يقولون؟ أم أنها كانت حادثة؟.

هز جابر رأسه في لا مبالاة، ولم يرد، أدرك عاطف أن صديقه لا يريد أن يتحدث فيما وقع، قام معه وهو يسنده بذراعه، همس جابر لعاطف: أريد أن أذهب للكورنيش.

حين صافحت نسمات البحر وجهيهما، انحدرت دمعة من عين جابر، حاول مدراتها، أما عاطف فقد نظر إلى السماء مبتعدًا بنظره عن دموع صديقه، تناهى إلى سمعه صياح أحد الصبية، أشار إليه، دسّ في يده بضعه قروش وهو يناوله كعكتين وورقة بها بعض الملح له ولصديقه.

طيف الغريب

كنتُ قد سئمتُ العمل يوميًا لوقت متأخر، ومن ثم التوجه إلى مكتبتي الصغيرة بالمنزل لمعانقة أحد الكتب حتى موعد نومي الذي يحين بعد صلاة الفجر، لذا فقد قررت أن أعطي لنفسي عطلة إجبارية؛ لأكسر حاجز الملل الذي كان قد بدأ يحيط بي.

حين استيقظتُ صباحًا، كنتُ قد نسيت ما عزمت عليه بالأمس، اغتسلت، تناولت قهوتي وأنا أرتدي ملابسي مسرعًا، وذهني منشغل بما سأفعله بالعمل كالعادة!. عند اقترابي من الباب، لمحت صورتي في المرأة، ذكرتني علامات الإجهاد على قسمات وجهي بما كنت انتويته أمس، ارتسمت على وجهي ابتسامة رضا وأنا أتوجه لسيارتي لبدء عطلتي.

قدت على غير هدى، كنت أتوق لممارسة أقصى درجات الحرية والتمرد، لم أحاول أن أخطط للقيام بشيء محدد، شعرت بأني بحاجة للانطلاق دون خطط مسبقة كالتي أضعها كل يوم لعملي، شعرت براحة وأنا أنطلق في طريقي دون أن يكدر صفو تفكيري أي مشاغل أو هموم.

التفتُّ بعفوية لسيارة تسير بجوار سيارتي، لمحت شخصًا متجهمًا يقود بجدية، وبجواره سيدة تثرثر، ينظر إليها بضيق من حين لآخر، تخيلت الحوار بينهما، يبدو أنهما زوجان، تلومه في عصبية وهي تشيح بيدها، ربما قلة اهتمامه بها وبطلباتها، تطرق برأسها، وهي تتمتم، يبدو أنها تذكره بأيام الخطبة وكيف كان يعاملها ويلبي طلباتها حتى قبل أن تطلبها، يغمغم بكلمات تشي قسماته بغضبه وكأن لسان حاله يقول: وهل أنتِ التي خطبتها يومًا ؟!. حين التفتُ للمرة الثانية، كانت ابتسامة هادئة تعانق شفتيها، وهي تهم بإطعامه بيديها، تغيرت نظرتي للأمور، يبدو أنهما عاشقان يحلمان ويعيشان قصة حب بجميع متناقضاتها. تجاوزتهما بسيارتي.

لم يمض وقت طويل حتى وجدتني بمحاذاة شاحنة عملاقة، يقودها سائق مفتول العضلات، يتململ في جلسته من آن لآخر، يطلق بوق التنبيه بسبب وبدون، حاولت أن أتخطاه، رمقني بنظرة غاضبة وهو يسرع أكثر، هدأت من سرعتي وأنا أبتسم له في ود؛ مفسحًا الطريق له، نظر في تعجب وقد راقه ما صنعت، أشار لي بيده كي أمر.

فجأة وجدتني بمحاذاة الكورنيش، أغمضت عيني لبرهة وأنا أستنشق الهواء بعمق، كانت أشعة الشمس تخترق الأمواج برقة،

والزرقة التي تنعكس على صفحة الماء تبعث في نفسي سكينة، فكرت أن أترجل من سيارتي، لكنني تراجعت في اللحظة الأخيرة كنت مستمتعًا بانطلاقتي، لكن حين لمحته وهو يعبر الطريق مشيرًا بعصاه، أبطأت من سرعة السيارة، وأنا أستعد للتوقف، عدت مسرعًا إليه، أمسكت بذراعه وأكملت معه عبور الطريق، ثم أجلسته على كرسي بمواجهة البحر، تبسّم وهو يشكرني، وهمس مازحًا: إنت فاكرني أعمى؟ ربت كتفه وأنا أسأله إذا كان بحاجة لشيء. لا أعرف أين تقابلنا قبلاً لكني كنت على ثقة بأنني التقيته قبلاً.

بعدما ابتعدت عدة خطوات وجدتني أتوقف، عدت أدراجي لأجلس بجواره وقد استشعرتُ بأنه بحاجة لأنيس، جلستُ بجواره وربتُ ظهره، هز رأسه في رضا ورفع رأسه وكأنه ينظر إلى الأفق، رغم النظارة السوداء التي كانت تغطي عينيه؛ شعرت بابتسامة تحاول أن تعانق شفتيه، ساد صمت لبضع دقائق، كنت خلالها أفكر لماذا توقفت، ولماذا جلست معه؟ قطع الصمت بسؤاله عن حالة الموج، قبل أن أجيب، استطرد بصوت أظنه عاليًا: الهواء شديد اليوم، أومأتُ موافقًا وكأنه يراني، ثم سألته: هل تأتي إلى

هنا كل يوم؟ هز رأسه في نشوة وهو يجيب: كل يوم، ثم أردف: ألم نتقابل قبل اليوم، أشعر أن صوتك ليس بغريب على أذني؟!

مرت لحظات صمت قطعها بصوته الذي بدا ودودًا ، وهو يعرّفني بنفسه، ثم أردف: كنت أعمل طبالاً في إحدى الفرق، لكني الآن تبت والحمد لله، سمعت الشيخ في خطبة الجمعة يتوعد العاصين بجهنم، من وقتها تركت العمل، وقد وعدني الشيخ أن يجد لي باب رزق حلال، على كل حال، أنا لم أكن سعيدا بهذا العمل، كان هناك الكثير من التصرفات التي تزعجني، ولم أكن أقدر على شيء لعجزي وقلة حيلتي، لم أستطع تعلم حرفة أو إيجاد عمل غير هذا ، ولا أخفي عليك ، كان هذا العمل يُدرّ عليّ الكثير ، ثم توقف فجأة ، وهو يعتذر عن إسهابه في الحديث ، وتوجه إليّ بسؤال: وأنت يا أستاذ ماذا تعمل؟ انتبهتُ لسؤاله بعدما كنت مصغيًا إلى حديثه ، ثم أجبته: صحفي أعمل بإحدى الصحف ، أكمل حديثك ربما أكتب عنك وعن حكايتك في الصحيفة، هز رأسه في عجب واشرأب عنقه وهو يسأل من جديد: والشغلانة دي بتكسب كويس؟ افتر ثغري عن ابتسامة وأنا أجيبه: مستورة والحمد لله، ساد الصمت من جديد، بعدما سرح كل منا بخياله ونحن جالسان قبالة موج البحر وهو يزبد ويرغي.

قطع الصمت صوت ضحكة أنثوية صاخبة مرت صاحبتها بجوارنا التفتُ لأرى صاحبتها ، وتبعتها بنظري قبل أن أعود لرفيقي وسؤاله الذي ألقاه بعفوية: هي حلوة؟ دهشت من سؤاله! لكني حاولت إخفاء دهشتي حتى لا أشعره بحرج ، لكنه فاجأني وهو يستطرد في حديثه والابتسامة لم تفارق شفتيه: لا تتعجب ، فلم أكن كفيفًا طوال عمري، لقد كنت دومًا أتمنى أن تجمعني قبلة بأي امرأة، وددت لو عشت هذا الشعور وأحسست بتلك النشوة التي يتحدثون عنها ، ثم صمت برهة قبل أن يوجه سؤاله لي: هل جربت أنت هذا الإحساس؟...

صدمني سؤاله وأنا الكاتب الذي يكتب عن الحب والعشق والعلاقات بين الناس ، ويصف أدق المشاعر ، لكنه فاشل على الصعيد الاجتماعي والعاطفي ، لم يُقم يومًا علاقة مع أي فتاة ، حتى إنني لم أفكر في الزواج!.

كرر سؤاله وهو يتحسس الكرسي ظنًا منه أنني غادرت ، انتبهت ليده، طمأنته وأنا أجيبه وأربت كتفه: إنني لم أعش هذا الإحساس يومًا، فأنا غير متزوج ولست على علاقة بأية امرأة، لقد كان وقتي كله لدراستي، ثم لعملي بعد ذلك.

ظهرت أمارات الخيبة على وجهه وهو يرد: خسارة، كنت أظن أن شخصًا مثلك سيكون الأقدر على وصف هذا الإحساس الذي عاشه هو وعجزت أنا عنه!.

سألته: لكن لِمَ لَمْ تفكر أنت في الزواج؟ دق الأرض بعصاه في ضيق وهو يحاول مدارة ابتسامة ساخرة، أطلت من قسمات وجهه وهو يجيب: هل تجد من ترضى بعاجز مثلي؟ ناهيك عن أني غير قادر على إعالة نفسي، فما بالك بالزواج والأولاد؟! ثم توقف هنيهة: لكن لا تظن أني غير راضٍ، بالعكس أنا مؤمن بقضاء الله وقدره، وقد سمعت الشيخ يردد أن من يرضى بحرمانه من نعمة البصر، فليس له عند الله من جزاء إلا الجنة، وأنا صابر وراض.
ثم التفت إليّ مجددا وهو يضحك ويقول: هي كانت حلوة؟

حديثه جعلني أدرك أنني ظللت كل تلك السنوات أسير في اتجاه خاطئ، ما فائدة نجاحي في عملي الذي لم يحقق لي إلا قدرًا ضئيلاً من السعادة؟ لِمَ لَمْ ألتفت يومًا إلى حياتي وأحاول تنظيمها؟ لِمَ لَمْ أحاول أن أعيش حياتي كما ينبغي؛ وليس كما اخترت وحصرت اهتمامي بعملي وفقط؟ ونسيت أني إنسان يحتاج للحب.. للعلاقات السوية، للصداقة التي لم أعرفها يومًا في خضم تركيزي وعملي المستمر.

نظرتُ إلى الموج وأنا أحاول مراجعة جميع حساباتي من جديد، مرّت عدة دقائق قبل أن أنتبه إلى اختفاء رفيقي، لم أشعر برحيله وأنا منشغل بالتفكير.

قمتُ إلى سيارتي، سلكت طريق العودة، حين وصلت، أدركت أني لم أنتبه لأي شخص خارج السيارة، كان فكري منصبًا على محاولة إحداث حالة من حالات التغير في طريقة حياتي.

بعد عدة أشهر، حين عدت إلى نفس المكان، وكنت بصحبة زوجتي الحامل، لم أجد أثرًا لرفيقي الكفيف، ورغم تكرار مروري على نفس المكان لعدة أشهر تالية، فلم يتصادف أن قابلته .. شعرت بعدها أنه ربما اختفى إلى الأبد.

قالوا عن قصص المجموعة

أشرف نبوي...

مدير التصوير.. مش عارف... لأ.. مخرج

أقول لك... كاتب السيناريو... نعم أفضل

الهم العام

سيناريو... انكسار فيلم تسجيلي رااائع

يؤرخ لنا جميعًا بسرعة خاطفة من ٦٧ إلى فرعون العصر الحديث،

رائد الأسرة الـ٣١ في تاريخ مصر

أجدت الوصف وبإحساس عالٍ جدًا

هو ده بقى أشرف نبوي، العاشق بجد

أحمد حاتم

• • •

أشرف نبوي...

لقد أخذتني حقًا في رحلة عبر انكسارات رحلة، رأيت فيها معنى الألم والحسرة.

سردك الجميل جعلني أسبح بين فترات الزمن والتاريخ بسهولة ويسر ، وكأنني أعيشها وأعيش تقلباتها ، النكسة ، الانفتاح ، ولحظات من السعادة الخاطفة في حياة البطل ، قلمك تألق حقًا حينما قام بعرض جميل لانكسارات كل مرحلة من مراحل تاريخية يمر بها الوطن إلى الآن ، وها قد انتهى البطل وانتهت أخيرًا انكساراته بين جوعى رغيف الخبز ، ترى ماذا سوف يرى الحفيد من انكسارات قادمة؟!!!! على أمل أن تزول قريبا إن شاء الله.

خالص تحياتي لك

شهيناز فواز

• • •

أستاذي.. أشرف نبوي

وجدت قصة انكسار يلي الآخر، وجع يلي الوجع

عيني دمعت، وقلبي نهشه الوجع

بطلك جعلته يرى كل انكسار من يوم النكسة، وكأن بطلك هو شعب مصر ذاته، بتفاصيله الموجعة.

لقد كتبت شعب مصر يا أستاذي..

دام التميز الرائع...

مع خالص احترامي وتقديري لشخصك المبدع.

د / أسماء علي

• • •

الأديب الأريب والشاعر القدير/ الأستاذ أشرف نبوي

جسّدت في قصتك، بشكل سلس جدًا وتسلسل منطقي للأحداث معاناة شعب على مر السنين، وأتيت بخاتمة ترجمت معنى ومضمون القصة بموقف مؤثر جدًا، معبرًا عن نهاية حتمية لا مفر منها عند استمرار هذا الانكسار.

أستاذي الفاضل..

أسجل إعجابي بتنوع كتاباتك وتعدد أفكارك وموهبتك المبهرة.

في انتظار جديدك

نـور

• • •

أشرف نبوي...

من المعين اليومي، الذاتي، الجماعي، الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي، أجدك هنا تنهل مادتك، لتؤرخ لذاتٍ عانت، لكن

بالإمكان إسقاط تلك الذات على العام، لكونها تمثل الغالبية من أفراد الاجتماع. لقد أتقنت في الربط بين الطموح، والرغبة في الوصول، وفي الاجتهاد من أجل تحقيق المراد، وكذلك في الاهتمام بقضايا الوطن (العام) ومن ثم الاهتمام بالحياة اليومية التي تعمق الحالة النفسية للفرد.

أعجبني هذا الاشتغال العام على النص، والذي خلق جوًا خاصًا، رغم تداعيات الانكسار فيه، إلا أنه أورث المتلقي نوعًا من الطمأنينة للنزوع نحو فكرة الموت، والتخلص من تبعيات هذه الحياة التي لم تعد تجدي مع الإنسان، في ظل تواتر هذه الانكسارات عليه وعلى ما حوله.

جوتيارتمر

• • •

سلسلة من الانكسارات المتتالية... وكأنه قد تم استنساخ عشرات الملايين من تلك السلسلة حتى تكفى ذلك الشعب المكلوم.

المذهل في قصتك.. والواقعي في ذات الوقت، هو أنني لم أشعر بأنها قصة من خيال كاتب مبدع متمكن مثلك... وإنما أحسست كأنني اقرأ تقريرًا عن حياة مواطن مصري، طالته انكسارات بلد، كما طاله نسيان حُكّامه من قبل.

أستاذي البارع...

مضى وقت طويل، قبل أن أعلق على رائعة من روائعك...

وأعلم أنني المقصر .. ولكن عذري أنني لا أترك حرفًا تكتبه إلا وقرأته وتعلمت منه...

تحياتي وتقديري واحترامي

د/ حسام

• • •

لا انكسارات بعد اليوم..

وقد كسر هذا النص ما بقي من أمل في نفس هذه الليلة المتعبة

جميلة قصة الحياة المتعبة..

والأجمل أن النهايات ما عادت تأتي سعيدة...

للغد أقول: ابتسم .. سيأتيك أشرف بنص جديد يداعب وجنة الشمس وتنسى حزن ليلتك.

سلمت يداك يا أشرف

رائع كعادتك

لينا عبود

• • •

أشرف ... أنت رائع وأنت تسكب الماء على الزيت الساخن .. تهب الفطرة لونًا يمتزج بعاطفة اللا محدود .. ترتمي بين أحضان المفردات .. تمرغ إبداعك بماء الورد .. تضيء العتمة المشرقة بلونها الأنثوي الثائر على حدود الممنوع المقبول .. تتزود أنفاسًا إنسانية .. تحدد معالم الذاكرة .. تسقيها ريحانة وماء ودخون ..

سندرا

• • •

عندما يصبح الماضي جزءًا حميمًا من تاريخ الانتماء، جزءًا أصيلاً من تاريخ وطن .. يصبح من الصعب أن ننسى، ونشعر أن ألف عمر يُضاف إلى أعمارنا، وتصبح نعمة النسيان أملاً صعب المنال.

لقد جذبته عجلة الزمن فلم يعد يملك تاريخًا في الذاكرة، ولكنه أصبح جزءًا من ... تاريخ وطن.

نعيش لحظة الحزن، نتخيلها الأخيرة، أو نظنها الأقسى، فترحل، ونستمر، ويأتي غيرها لنتخيله الأقسى، ثم ترحل ونستمر، ونظل هكذا حتى تكتمل الصورة وتكتمل سبحة الأحزان، فننسحب لبؤرة صراع صعب تحملها، معلنين رفضنا لانكسارنا فنغلق سبحة أحزاننا بآخرها وأجملها... بالرحيل.

أستاذنا الجميل أشرف نبوي...

كعادتك رائع، وكعادتي لا أستطيع أن أمنع نفسي من التعايش مع انفعالات كتاباتك، فأجدني صدقًا أشعر أحاسيس أبطالك.. دمت رائعًا.

رنيم مصطفى

• • •

أخي أشرف...

حينما قرأت عنوان قصتك، تصورت أنني ذاهب إلى استراحة من هموم الوطن بقراءة نص خفيف الظل، خاصة وقد أسهبت في وصف الشخصية وترددها وحيرتها بين الأمور المتناقضة، وكأنك تهيئ الجو لمفارقة ما... لكن المفارقة جاءت على عكس ما نتوقع.. فتلك الشخصية بترددها بين الآراء المتعارضة وجدت نفسها تقود نضالاً لم تكن تعلم عنه شيئًا.. هي قيادة بالصدفة ومترددة وليست صاحبة قضية في الأساس ولذلك كان جزاؤها صارمًا؛ ليجعلها ترتد عن النضال وتستجدي المسئولين العفو عن زلتها.. وكأنما أردت أن تختصر في هذه الشخصية، كل الشعب المتردد والذي لا يبني موقفًا ولا يعرف ما يضره مما ينفعه...

سألت نفسي كم مليونٍ من الرجال والنساء لدينا ممن هم على شاكلة طنط قشطة؟...

أظنهم كل الشعب.

تحياتي.

د . محمد فؤاد منصور

• • •

الأستاذ / أشرف

تحية عاطرة

كتب الأستاذ أنيس منصور في تعريف البطل جملة واحدة وهي: "إذا عرفت بطلاً .. عرفت مأساة" . وأعتقد أن كلمة مأساة هنا معناها تضحية، سهر، دماء، جلد، مشقة، صبر..

أما صاحبتنا فلقد اتبعت نهج "إمساك العصا من المنتصف" وحين سقطت لم تجد إلا السراب..

نص ثرى بكل أبعاده، فيه فضح المنافق وتنبيه الغافل وشحذ الهمم.

خالص الود والتحية.

إبراهيم عبد المعطى داود

• • •

للنجاح وقفات..

لقد حدثتنا عن السيدة قشطة..

تلك التي تحمل قلبًا مسكونًا بالحب.. تحاصرنا استفهاماتها الثائرة الموجوعة بالتغرب والظلم.. ممزوجة عروقها بحب متفرد.. و.. وعد قالته ذات إطلالة إصرار.. أنها سوف تتحدى الألم وتنتصر على مسافات التعب، لتبقى سيدة النجاح.. لكنها كي تواجه هزائم دنيا غمرتنا ببريقها، لابد أن ترتحل بعيدًا تنازل الموج، وتخاصم الفشل. لكي تنجح.. لابد.. أن تفقد..لابد.. أن تضحي..

تحدثنا عن الصبر، وعن ضريبة التفوق، والطموح.. لقد زادتنا حيرة ولقد جعلتنا نمسك بخيط البداية حيثُ لا تنتهي الآن..

في عيونها لا الزوايا هي الزوايا، ولا الشوارع هي التي تركتها... لقد تصلبت أكثر وامتدت..

وحين أفاقت ذات يوم، ونظرت في المرآة، سرت بجسدها قشعريرة، لم تعرف وجهها في المرآة، لم تكن ذات المرأة.

رائعة هي كتاباتك.. راقية كرقيك أيها الأديب..

أمينة

• • •

في لبنان مثل يقول (إن ما كبرت ما رح تصغر)...
في أي مكان يتعرض الإنسان فيه للذل والهوان، ويعاني من فساد مجتمعه، عليه أن يثور، أن يناضل لأجل إنسانيته ومستقبل الأجيال التالية، الصمت لا يجدي، ولا مزيد لتخسره الشعوب إن استفاقت.
أشرف نبوي...
أسلوب جديد، رائع وممتع، يحاكي الضمائر ويعاتب الواقع.
تحياتي للسيدة قشطة..

لينا عبود

• • •

حقيقي قصة رائعة، لقد انهمرت دموعي وأنا أقرأ قصتك. وأنا على يقين من وجود الآلاف مثل طنط قشطة، ولكن...
على اختلاف الخاتمة.
تقبل مروري

نورا عمار

• • •

نموذج لأوضاع مقلوبة في عالمنا.. تصبح المرأة فيه أشد دفاعًا حين تعتنق الفكرة وتؤمن بها.. مضى قطار الزواج، فهل يا ترى راجع لنشاطها؟.. حتى بعدما انضمت لمجموعة لم تكن مغرية رغم ما تملك من مقومات تغري برجل وليس أي رجل..

تلك القشعريرة تؤكد أن المرأة لا يمكنها في أي مرحلة من حياتها مهما كانت حركتها في عالم غير عالم الزوجية والأسرة، لا يمكنها أن تقفز على حاجتها وطبيعتها التي فطرها الله عليها..

استثارة ذهنية جاءت صدى (طنط قشطة) العمل الأدبي الذي اكتملت سماته الفنية من القصة القصيرة.

بارك الله فيك أخي الكريم، ودمت معبرًا عن واقعنا بهذا الوعي.

وافر تقديري لك..

ماجدة شحاتة

• • •

الأخ العزيز أشرف نبوي...

رسمك للشخصية بكل تفاصيلها، حتى أحاسيسها ومشاعرها، بدقة عالية ومهارة أحسدك عليها... كل التقدير لك.

الصابر أيوب

• • •

جميل ما قرأت هنا...

شخصية جعلتها حية أمامنا، بكل تفاصيلها وروعتها.

شكرًا لك أستاذ أشرف.

السيد عبد الله

• • •

أ. أشرف نبوي...

يبدو أنني مهما هممت بالابتعاد عن كل فنون الأدب، أجد شيئًا رائعًا يعيدني بقوة للقراءة من جديد...

لا أدري.. دومًا قصصك لا تعني شخصًا بقدر ما تعني شعبًا، تلك البراءة والتلقائية التي يتميز بها السواد الأعظم من المصريين، هم يكرهون الظلم ولا يفهمون أبعاد القضايا، يشاركون بفطرتهم أولاً، يعارضون بفطرتهم، م يجدون أن الفطرة ردها المباشر الظلم لذا بعضهم يبدأ في الفهم، وبعضهم يبدأ في التقوقع.. بعضهم يحاول الثأر، وبعضهم يفضل الصمت.

طنط قشطة.. هي تجسيد رمزي للكثيرين، تجسيد للنقاء الذي يُقابل بالوحشية.. ومن مميزات الظالم أن يستفز المظلوم حتى (يطفح به الكيل).. أرى أنها ميزة رائعة للظالم، حتى يستيقظ الغافل.

إبداع رائع جديد..
دام تميزك منقطع النظير
مع خالص احترامي وتقديري.

د / أسماء علي

• • •

قصة تنقل لنا صورة حية من إحساس مواطن بسيط لا يملك سوى التعبير عن آلامه وأوجاعه، في صورة هي أبسط ما يكون حق من حقوقه الإنسانية، أمام جبروت الظلم والفساد، وهذه الصورة تجسدت في شخصية (طنط قشطة).

نقلني قلمك سيدي الفاضل بأسلوب سرد جميل، إلى تلك الحالة النفسية المتدهورة التي وصلت إليها بعد خروجها من أزمتها ومرورها بأحداث مريرة، من انتهاك لكرامتها وأبشع ما يمكن أن يتعرض له كل من يحاول أن يكون له دور فعال.. لكنها لا تزال صامدة مستكملة المسيرة، بل وقائدة لها أيضًا.

أشرف نبوي... لك منى خالص تحياتي وتقديري لقلمك الرائع.

شاهيناز فواز

• • •

هكذا نتحول، طالما أن النار لم تحرق أصابعنا ولم تمتد إلى شرايين وجداننا، نبقى سطحيين نحمل الشعارات الوهاجة، نتفاخر بها دون حس عميق، نكسب منها موقفًا مزيفًا، ويطالنا الموقف ذات يوم، نبقى على مفترق طرق، أنتابع أم نتراجع؟

ويبدو أن قشطتنا قد قررت المتابعة، وقررت أن معترك الحياة لا يكون باللفظ، بل بالموقف الحقيقي، لا تغيير يطال الداخل والخارج إذا لم يتوافق الداخل مع الخارج.

شكرًا لقصتك... وضعت النقاط على الحروف المناسبة، لم تخطئ التنقيط... فوصلت القصة إلى مبتغاها... تحية لك.

أكاسيا

• • •

الفاضل الغالي أشرف...

لحكيك طعم جميل. رغم طول القصة، إلا أنكِ ضمنت لنا المتعة.

كانت قصتك ممتلئة بكل شيء، إنسانيتها، وسياستها، وجوها العام، مغري... ولذا وجبت التحية

علاء عيسى

• • •

أشرف نبوي الرائع...

طنط قشطة.. غوص في ماهية الواقع العياني بكل صوره البليدة، والمتاخمة للعيانية اليومية، مشهد كشفي في طنط قشطة، قَصٌ يُعرّي الواقع بكل توجهاته المعقولة واللامعقولة ويبرز النمطية السياسية السائدة منذ أمد طويل، تلك النمطية التي تعيش على الشك والريبة وغرسها في نفوس الكل من أجل تفكيك قوى الشعب وإخضاعه. وكذلك توظيف جمالي للنمط الاجتماعي والوصفي، من خلال اللغة السلسلة، قص يزاحم لحظة بروز صورة التمرد المبدع، كلمات تستبطن فوارا ما بين هي الحلم المتصلة بالذات، وما بين هو القارئ للذات، وما بين أنا المرعبة من أثر الرؤيا، وما بين النجم الغاية.

الخاتمة جاءت على وفاق عال مع الواقع ونمط السردية.

جوتيارتمر

• • •

القصة بالفعل فيها مفارقة لطيفة.. فهذه السيدة صاحبة المواقف الشفوية، وجدت نفسها في خضم الأحداث.. وكثيرًا ما يظن الناس عندما يرون ظلمًا واقعا على غيرهم.. أنهم خارج الحدث.. لكن ما يلبثوا أن يجدوا أنفسهم في معمعته.

أسلوبك جذل، ووصفك دقيق وجميل .. ولكن كما قلت سابقًا، ينقص هذه القصة الحوار .. وكان من الممكن بسهولة أن تضعه بدلاً من الاستفاضة في السرد، وبذلك تقطع على القارئ شروده، وتعيده لجو القصة .. عند ذلك ستكون القصة أجمل وقد ارتدت ثوبًا قشيبًا.

فايزة شرف الدين

• • •

أخي الحبيب أشرف...

ترسم هنا صورة لمواطن، بسيط محبوب، بسيط في كل شيء، عاطفي جميل رقيق، لكنه كان ضحية للكاذبين، والإنسان الطيب عندما تلهبه سياط الظلم ينتفض، بكل ما أوتي من قوة، وهكذا فعلت بطلة قصتك.

لقد أمتعتنا بهذه القصة الهادفة، التي تضيء من خلالها أضواء الأمل رغم قسوة الجلد والجلاد... بوركت.

عدنان البحيصي

• • •

القاص البديع / الأستاذ أشرف نبوي...

أسعدتني بهذا النص الجميل السلس، والذي تنساب تفاصيله انسياب الماء الزلال، وما أسعدني أكثر أنني تأكدت أخيرًا، من ذهاب الزمان الذي يعتاش فيه الأديب من أدبه، اللهم إلا إذا قصد بالأدب عند العرب ما ذهب إليه بعض الإخوة مؤخرًا "تأديب الغلمان"، وطبعًا غلمان الخليفة لا غلماني وغلمانك، فيكفينا منهم زهونا بحسن طلتهم.

قاسم عزيز

• • •

ليست القصّة الأولى التي أقرؤها لك، سردٌ فيه من البساطة والتمكن الكثير.

أعجبتني القصّة.

ابتسام تريسي

• • •

لا أملك ثانيةً إلا أن أقول رائع ما خطه قلمك الذي أثار بي الكثير من الذكريات، التي أتذكرها الآن، وأضحك، وفرحت

بهذا الناشر الذي كان يعطيه بضعة جنيهات (غيره نشرها على حسابه ولم يأخذ شيئًا، رغم نفاد أعداد الرواية).

حين نملك حلمًا، أولى بنا ألا نضيعه وأن نركض خلفه مهما كلفنا الأمر، لكنه أدرك حلمه متأخرًا، بعد أن بات مكبلاً بالمسئوليات.

شكرًا لك أشرف، فلقد أسعدتني بقراءة قصتك الجميلة.

رباب كساب

• • •

هذا النص من النصوص القليلة في أدبنا العربي، التي تطرح أو تعكس معاناة الكاتب في حصوله على كُوّة يشرف منها على قليل من الضوء...

سعدت بقراءة قصتك أخي أشرف.

عبد الحميد الغرباوي

• • •

الكاتب الرائع أشرف نبوي...

لقد كان سردًا رائعًا إلى حد كبير... مؤثرًا.. سلسًا.. تنتقل بالقارئ خطوة خطوة، وكأنك تُسيّره إلى ما تريد.. وقد فعلتها.

جميلة.. قوية.. ومحبوكة جدًا.

تحياتي لقلمك.. كنت مبدعًا.

عائدة محمد نادر

• • •

النبوي المبدع...

تنهل دائمًا من المعجم العاطفي الذاتي، وتحاول من خلاله أن تنثر مفرداته على المحمل العام، وضمن جغرافية سردية وجدانية، تستفز الداخل الإنساني بشكل وآخر، لتجعل من ردة الفعل الوجداني هذه نقطة انطلاق لك في سطر ماهية الرؤية التي تريد إيصالها للمتلقي. وكعادتك، تستحضر جميع الأدوات، من أجل الوصول إلى المنشود من الكتابة نفسها، وأراك تستحضر الذاكرة هنا بلطف، لكنك تُسخّرها في جو رمزي شفيف، لتصل بنا إلى النقطة التي أيقظت فيك هذا الحافز الوجداني، وبسبب كثرت التناقضات الحياتية، أراك تدور في حلقة ذات شبه فارغة، لتصطدم بها مرة وأخرى، وهذا ما شتت بعض أناتك الداخلية.

جوتيار تمر

• • •

الأستاذ نبوي...

الحدث تحرك بتقنية الاسترجاع.. أو الفلاش باك..

كان أثر الصدمة يفعل فعله في تفكير البطل.. وثنايا الذاكرة..

منذ الإحساس بالتهاوي على الأرض حتى النظر إليها وهي قرب السرير... مسافة ست سنوات كانت كافية لتحيلها إلى امرأة مسنة .. الوفاء عنوان العلاقة بينهما..

ياسين بلعباس

• • •

دائمًا في كل قصصك،لك مقدرة على السرد عالية جدًا.. وتستطيع ببراعة أن تصف ما في داخل النفس من مشاعر.. وهذا يحسب لأي نص لك.. مع أن الأحداث كثيرة، وتلخص الحياة لعاطفية لرجل منذ كانت في المرآة، وتبلور كنه تلك المشاعر مع كل حقبة في حياته.. إلا أنه كما قال الأخ ياسين.. كانت فلاش باك لرجل فقد من عمره ست سنوات.

فايزة شرف الدين

• • •

أخي الفاضل الأديب / أشرف نبوي

وكأنك أخي الكريم تتحدث بلساننا جميعًا.. نعيش نفس الوهم بين الحلم والكابوس.. لم تعد الموهبة هي الأهم، بل وكعادته.. أصبح هو سيد الموقف.. المال، هذا الوحش!

حتى فوز روايته بالمركز الأول لم يشفع له، فظل يترنح تحت وطأة الحلم الوهم.

أجمل ما في قصتك هو هذا التفاوت بين حلمه وحلمها، وهما متجاوران على فراش واحد، وهي تحلم بـــقطعة من قمرها هي، لا قمره هو.

تقبل تقديري واحترامي أيها الرائع.

حسام القاضي

• • •

سردية رائعة أخذتنا منذ البداية لتحط بنا في نهايتها لنفس النقطة التي بدأها المؤلف، حيثُ لا طموح... ولا دافع...

لكن أقول إن وراء كل عظيم امرأة، تدفعه للأمام.. وهذا لم يتوافر في هذه الزوجة التي ظهر دورها جليًا في القضاء على طموحات الزوج، والتهكم والسخرية من قدراته، حيثُ بترت كل أحلامه،

وربما تجسدت الحياة بضغوطها في هذه المرأة، وهذه رؤية شخصية أخرى للقصة.

القاص الرائع/ أشرف...

قصة رائعة من أكنان الحكمة.

رنيم مصطفي

• • •

أخي العزيز أشرف نبوي...

سعيد بلقائك هاهنا مع نص اجتماعي من طراز خاص، يضع الإصبع على مواطن الداء في العلاقات الزوجية التي يقتلها الاعتياد، ويحييها القليل من التوابل إذا استخدمت بحذر..

استطعت أن تشد اهتمامنا وتدفعنا للتساؤل عن فحوى ذلك السر الذي باحت به الزوجة لصديق الزوج، وهي تقنية أعطت النص جمالاً خاصًا..

تقبل أرق تحياتي.

د / محمد فؤاد منصور

• • •

أخي وعزيزي أشرف...

تذهب دائمًا إلى تلك المناطق الوعرة بعذوبتك المعهودة، العلاقة الأسهل ذات الصعوبة البالغة، تلك التي بين الرجل والمرأة، لا أدرى لماذا دائمًا يتعين على البعض - بل الكثير - اللجوء إلى بعض السيناريوهات لإيقاظ مشاعر الطرف الآخر؟!

تلك العلاقة رغم بساطتها ويسرها إلا أنها عادة تحتاج رعاية يُغفلها البعض كثيرًا .

أيًا كان الأمر ، أعادني نصك الرائع لتلك الحميمية الضائعة .. ونقلني لأشيله رحلت منى زمنًا.

دمت بهذا الجمال أيها الصديق.

أحمد حاتم

• • •

الكاتب في سطور

- كاتب وأديب مصري من مواليد الإسكندرية.
- نُشرت كتاباته بالعديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية، منها: صحيفة الجمهورية المصرية ، صحيفة شباب مصر ، صحيفة الحياة اللندنية ، صحيفة الرياض السعودية ، صحيفة عكاظ السعودية ، صحيفة الشرق القطرية ، صحيفة الراية القطرية.
- يكتب في العديد من المنتديات على شبكة الإنترنت.
- الإصدارات :

  - ضحكات دامعة : مجموعة قصصية.
  - القطار والثوب الأزرق : مجموعة قصصية.
  - السماء تلامس البحر : مجموعة قصصية.
  - فرار أنثى : مجموعة شعرية.

- البريد الإلكتروني : alsaaf7@hotmail.com

فهرس

شمس للنشر والإعلام

رؤية جديدة في عالم النشر

في مسعى جاد لتقديم رؤية جديدة تسهم في تصحيح العديد من المسارات في مجال النشر، تم تأسيس "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" كخطوة على طريق إرساء أسس مشروع ثقافي متكامل يهدف إلى نشر الإبداع العربي في كافة التخصصات، وإثراء صناعة النشر، وتقديم إضافة حقيقية إلى مسيرة الكتاب العربي، وفق رؤى متوازنة تجمع ما بين طبيعة عملها كمؤسسة تجارية تتطلع إلى تحقيق الربح والانتشار، ومابين تحقيق رسالتها الثقافية.

وتهدف "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" إلى تحقيق عدد من الغايات:

- إتاحة الثقافة الرفيعة للقارئ العربي، وتلبية حاجاته من المعرفة.
- الإسهام الفعال في نشر الإبداع العربي، من خلال سياسات ترويج وتوزيع تتلاءم ومقتضيات العصر.
- تفعيل حركة النشر، خاصة لشباب المؤلفين، ورعاية وتشجيع المبدعين، ودعم قدراتهم الفكرية والأدبية، والعمل على نشرها وإبرازها.
- حماية الحقوق الفكرية والمادية للكتّاب، وإعادة صياغة أسس التعامل المادي مع المؤلفين وفق قواعد أكثر إنصافاً.

- التعريف بالكاتب والكتاب إعلامياً وجماهيرياً، ومد جسور التواصل بين المبدع والمتلقي.
- إثراء الحياة الثقافية بالأنشطة والندوات والفعاليات، من خلال رؤى تنظيمية وترويجية تضمن نجاحها والمشاركة الفاعلة فيها.
- الوصول بالإبداع العربي إلى القارئ غير العربي، من خلال ترجمة الإصدارات العربية المتميزة إلى لغات مختلفة، والعمل على خلق آفاق عالمية لنشرها بالتعاون مع دور نشر احترافية في العديد من الدول.
- توثيق الصلات بين دور النشر المحلية والعربية والدولية، وكذلك بين الكتاب والمثقفين العرب، والتواصل الفاعل مع المهتمين على اختلاف توجهاتهم، وفق صيغ تعاون إيجابية.
- إعادة نشر التراث المعرفي العربي ذي الإفادة في عصرنا، وتحقيقه وتدقيقه.

ويرتكز عمل المؤسسة على منهاج "احترام الكاتب والكتاب" مادياً وأدبياً ومعنوياً، وفق عدة معايير تقوم على الالتزام التام بأخلاقيات مهنة النشر. وتسعى لتقديم رؤية جديدة لصناعة الكتاب تشمل الدقة في انتقاء المحتوى، والجودة في إخراجه وتصميمه وتنفيذه وطباعته، والاهتمام بنشره وترويجه إعلامياً ودعائياً، بما يضمن له؛ في النهاية؛ مكاناً بارزاً في مكتبة القارئ.

شمس للنشر والإعلام

www.shams-group.net

(+2) 02 27270004/5 - (+2) 0188890065/64

شمس

للنشر والتوزيع

٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤ (+٢)   ٠١٨٨٨٠٠٦٥ (+٢)

www.shams-group.net